

كتب الفراشة - القصة العالمية

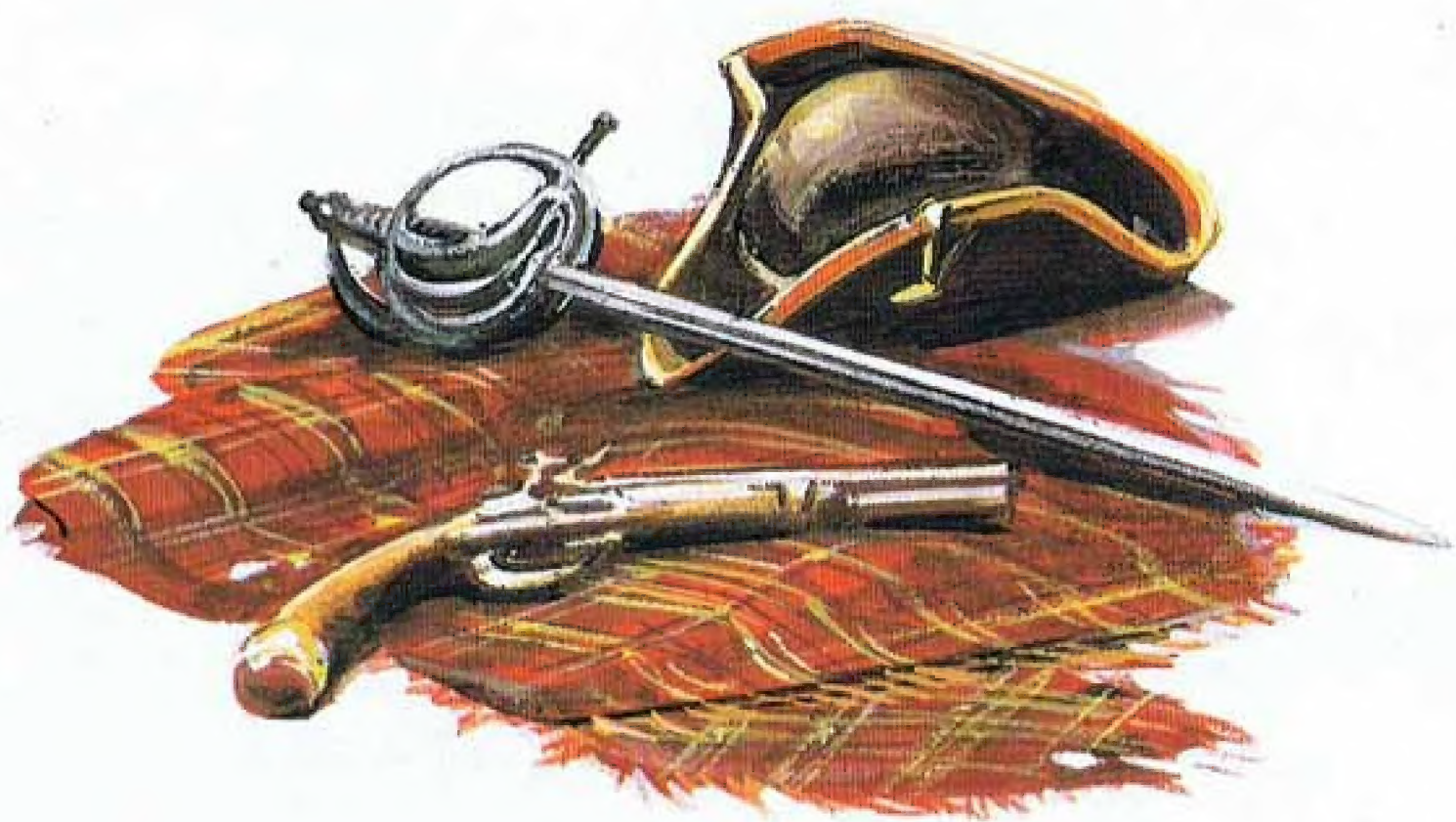


المخطوف



كتب الفراشة - القِصص العالمية

المخطوف



أعاد حكايتها: الدكتور ألبير مطلق
عن قصة روبرت لويس ستيفنسون



مكتبة لبنات ناشرون

مَكْتَبَةُ لُبْنَانِ نَاشِرُونَ شَرِكَةٌ

زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢ - ١١

بَیروت - لُبْنَان

وُكَلَاءُ وَمُوزَعُونَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ

© الْحُقُوقُ الْكَامِلَةُ مَحْفُوظَةٌ

لِمَكْتَبَةِ لُبْنَانِ نَاشِرُونَ شَرِكَةٌ

الطَبْعَةُ الْأُولَى ١٩٩٤

رقم الكتاب 01 C 196806

طُبِعَ فِي لُبْنَانِ



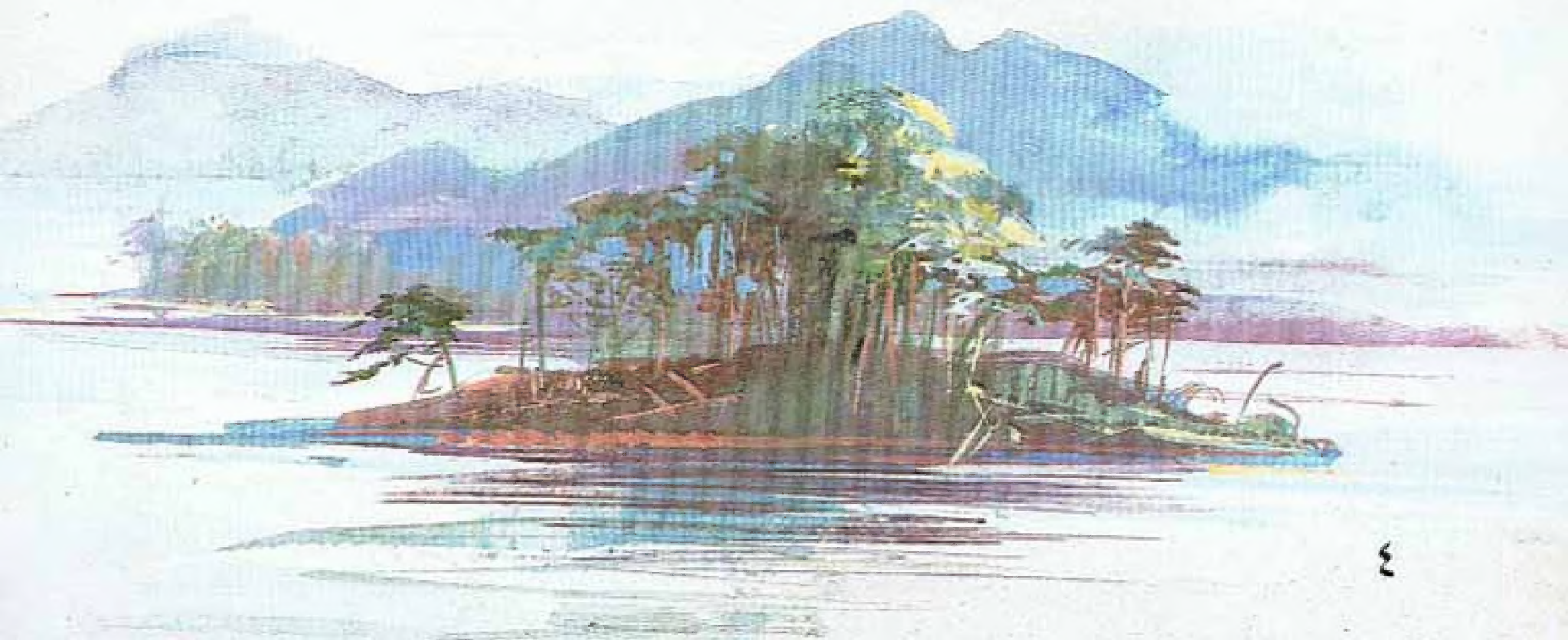
مقدمة

ظَهَرَتْ رِوَايَةُ «الْمَخْطُوف» لِرُوبَرْت لُويْس سْتِيفَنسُون سَنَةَ ١٨٨٦ ، عَلَى شَكْلِ عِدَّةِ حَلَقَاتٍ فِي مَجَلَّةٍ لِلْأَحْدَاثِ تَهْتَمُ بِقِصَصِ الْمُغَامَرَاتِ ، ثُمَّ نُشِرَتْ ، فِي الْعَامِ نَفْسِهِ ، فِي كِتَابٍ . وَقَدْ اكْتَسَبَتِ الرِّوَايَةُ ، عَبْرَ السَّنِينَ ، شُهْرَتَهَا كَرَائِعَةٍ أَدَبِيَّةٍ وَكَقِصَّةٍ مُغَامَرَاتٍ مِنَ الطَّرَازِ الرَّفِيعِ ، لِأَنَّهَا حَافِلَةٌ بِكُلِّ عَوَامِلِ التَّشْوِيقِ مِنْ تَنَوُّعِ الشَّخْصِيَّاتِ ، إِلَى وَصْفِ أَعْمَالِ الْخُطْفِ وَرَسْمِ الْخُطَطِ وَالْمُؤَامَرَاتِ ، إِلَى الْجَرَائِمِ الْمُرَوَّعَةِ وَالْمُطَارَدَاتِ الْمُشِيرَةِ ؛ كُلُّ ذَلِكَ فِي سَرْدٍ تَفْصِيلِيٍّ رَشِيقٍ .

تَجْرِي أَحْدَاثُ الرِّوَايَةِ فِي إِسْكُتْلَنْدَا بَعْدَ خَمْسِ سَنَاتٍ مِنْ فَشْلِ آلِ سْتِوَارْت فِي إِيصَالِ الْأَمِيرِ تشارلز إِلَى الْعَرْشِ . وَقَدْ نُقِلَتْ كُلُّ جَوَانِبِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ بِدِقَّةٍ تَجْعَلُ الْكِتَابَ رِوَايَةً تَارِيخِيَّةً مُمْتَعَةً وَمُفِيدَةً لِلْكِبَارِ وَلَيْسَ لِلْفَتَيَانِ فَقَطْ . أَفَادَ سْتِيفَنسُون مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِطَبِيعَةِ جِبَالِ إِسْكُتْلَنْدَا - خِلَالَ حَدَائِثِهِ - فَجَاءَ تَصْوِيرُهُ لِمَسْرَحِ الْأَحْدَاثِ مُفَعِّمًا بِالْحَيَوِيَّةِ وَالِدَقَّةِ .

كَانَ سْتِيفَنسُون إِسْكُتْلَنْدِيًّا مُوَلَعًا بِتَارِيخِ بِلَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُصَوِّرَ حَقِيقَةً مِنْ ذَلِكَ التَّارِيخِ ، فَجَعَلَ الْحَادِثَةَ التَّارِيخِيَّةَ مِحْوَرَ الْقِصَّةِ وَبَنَى حَوْلَهَا تَفَاصِيلَ الْحَبْكَةِ . كَانَ يُعْجَبُ بِأَخْبَارِ الْأَبْطَالِ الشُّجْعَانِ الْمُغَامِرِينَ ، وَقَدْ احْتَشَدَتْ فِي مُخِيلَتِهِ صُورٌ هَوْلَاءُ مُنْذُ أَنْ كَانَ صَبِيًّا ، يُلَازِمُ الْفِرَاشَ بِسَبَبِ الْمَرَضِ وَيَقْضِي وَقْتَهُ بَيْنَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّأَمُّلِ . وَزَادَ مِنْ حُبِّهِ لِلْمُغَامَرَاتِ كَثْرَةُ رِحَالَتِهِ فِي كِبَرِهِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَوْضَاعِهِ الصَّحِّيَّةِ الصَّعْبَةِ .

أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ ، أَنَّهُ لَيْسَ بِمَقْدُورٍ أَيُّ كَاتِبٍ أَنْ يَنْفُذَ إِلَى الْمَعْرِى الْحَقِيقِيِّ لِأُسْطُورَةِ
«الأمير تشارلز» وَأَنْ يُصَوِّرَهَا بِهَذَا الْأُسْلُوبِ الرَّائِعِ ، مَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ رُؤْيَةٍ رُومَنْطِيْقِيَّةٍ
شَفَافَةٍ كَسْتِيْفَنْسُونِ . وَهَكَذَا نَرَى أَنَّ أَلْنَ سْتِيوَارْت فِي «الْمَخْطُوفِ» صَاحِبُ شَخْصِيَّةٍ
نَابِضَةٍ تُجَسِّدُ الْأُسْطُورَةَ بِكَامِلِهَا . وَلَا يَسَعُ قَارِئُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ إِلَّا أَنْ يَتَصَوَّرَ نَفْسَهُ وَسَطَ
وَقَائِعِ حَيَّةٍ تَتَحَرَّكُ حَوْلَهُ . وَكَأَنَّ سْتِيْفَنْسُونِ نَفْسَهُ كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ : «لَقَدْ
تَحَرَّكَ الْكِتَابُ أَمَامِي» .



المخطوف

بَدَأَتْ قِصَّةُ مُغَامِرَاتِي فِي أَوَائِلِ حَزِيرَانَ (يُونِيَّة) مِنْ عَامِ ١٧٥٧ .

فِي يَوْمٍ مُشْرِقٍ مِنْ أَيَّامِ ذَلِكَ الشَّهْرِ تَرَكْتُ بَيْتِي الْعَتِيقَ فِي مَدِينَةِ إِسْنَدِينَ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ . وَرَافَقَنِي فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ السَّيِّدُ كَامِبِلُ ، صَدِيقِي وَصَدِيقُ وَالِدِي مِنْ قَبْلُ .

قَالَ لِي السَّيِّدُ كَامِبِلُ فِي أَثْنَاءِ سَيْرِنَا : «أَنْتَ آسِيفُ لِتَرْكِكَ إِسْنَدِينَ يَا رُوَيْنَ ؟»
أَجَبْتُ قَائِلًا : «لَا أَذْرِي ، يَا سَيِّدِي . إِسْنَدِينَ مَكَانٌ لَطِيفٌ ، وَقَدْ كُنْتُ هُنَا سَعِيدًا جَدًّا . لَكِنْ الْآنَ ، وَقَدْ مَاتَ وَالِدَايَ كِلَاهُمَا ، عَلَيَّ أَنْ أَبْدَأَ حَيَاةً جَدِيدَةً . فَأَنَا فَتِيٌّ وَأُرِيدُ أَنْ أُسْتَكْشِفَ الْعَالَمَ .»

قَالَ السَّيِّدُ كَامِبِلُ : «مَا دُمْتَ قَدْ عَزَمْتَ عَلَى الرَّحِيلِ ، فَعَلَيَّ أَنْ أُطْلِعَكَ عَلَى مِيرَاثِكَ ، كَمَا أَوْصَانِي أَبِيكَ . فَقَدْ تَرَكَ لَكَ أَبِيكَ رِسَالَةً تَحْمِلُهَا إِلَى مَالِكِ قَصْرِ آلِ شُوزِ ، الْقَرِيبِ مِنْ كَرَامُنْدُ .»

سَأَلْتُ فِي دَهْشَةٍ : «وَمَا عِلَاقَتِي بِقَصْرِ آلِ شُوزِ؟ وَأَيُّ مِيرَاثٍ تَتَحَدَّثُ عَنْهُ؟»
أَجَابَ : «لَا أَعْرِفُ يَا رُوَيْنَ ، لَكِنَّكَ تَنْتَمِي إِلَى تِلْكَ الْأُسْرَةِ ، فَاسْمُكَ الْكَامِلُ هُوَ رُوَيْنُ فُور آلِ شُوزِ . وَأُسْرَتُكَ هَذِهِ اسْكُتْلَنْدِيَّةٌ عَرِيقَةٌ رَفِيعَةُ الْمَقَامِ .»
سَلَّمَنِي السَّيِّدُ كَامِبِلُ رِسَالَةً أَبِي وَوَدَّعَنِي وَدَاعًا حَارًّا وَمَضَى .



الْقَيْتُ نَظْرَةً عَلَى الظَّرْفِ ، فَعَرَفْتُ خَطَّ أَبِي . وَقَرَأْتُ مَا يَأْتِي : «إِلَى ابْنِزَر فور ، قَصْر
آلِ شوز . ابْنِي ، رُوْبِن ، يُسَلِّمُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ .»

أَخَذَ قَلْبِي يَخْفِقُ خَفَقَانًا سَرِيعًا . فَأَنَا ابْنُ مُدْرَسٍ اسْكُتْلَنْدِيٍّ فَقِيرٍ ، وَكُنْتُ يَوْمَهَا فِي
السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِي ، وَلَعَلَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ تَفْتَحُ لِي بَابَ الْمُسْتَقْبَلِ .

وَصَلْتُ أَذْبُرَهُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي . وَتَرَكْتُ تِلْكَ الْمَدِينَةَ الصَّاحِبَةَ أَثَرِهَا فِي نَفْسِي
فَشَعَرْتُ بِالْإِنْشِرَاحِ . لَكِنْ ، مَعَ بَدْءِ رِحْلَتِي غَرْبًا إِلَى مَدِينَةِ كْرَامُنْد ، سُرْعَانَا مَا أَخَذَ ذَلِكَ
الْإِنْشِرَاحُ يَتَحَوَّلُ إِلَى اكْتِنَابٍ . فَقَدْ كُنْتُ كُلَّمَا سَأَلْتُ أَحَدًا عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى قَصْرِ آلِ شوز
نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَةً ارْتِيَابٍ أَوْ حَذَرٍ مِنْ الْإِقْتِرَابِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ .

وَقَابَلْتُ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عَجُوزًا مَجْنُونَةً النَّظَرَاتِ ، فَتَجَرَّأْتُ وَسَأَلْتُهَا عَنِ الْمَكَانِ
الَّذِي أَقْصِدُ . أَشَارَتْ الْعَجُوزُ إِلَى قَصْرِ قَاتِمٍ مُهْمَلٍ شَبِهُ مَهْجُورٍ ، وَصَاحَتْ بِصَوْتٍ
غَاضِبٍ :

«ذَاكَ هُوَ قَصْرُ آلِ شوز ! لَعَنَ اللَّهُ سَاكِنِيهِ ! !»

صَاحَتْ صَيِّحَتَهَا تِلْكَ وَمَضَتْ ، تَارِكَةً إِيَّايَ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِ ذَلِكَ النُّفُورِ الَّذِي
يُصِيبُ كُلَّ مَنْ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ الْقَصْرِ .

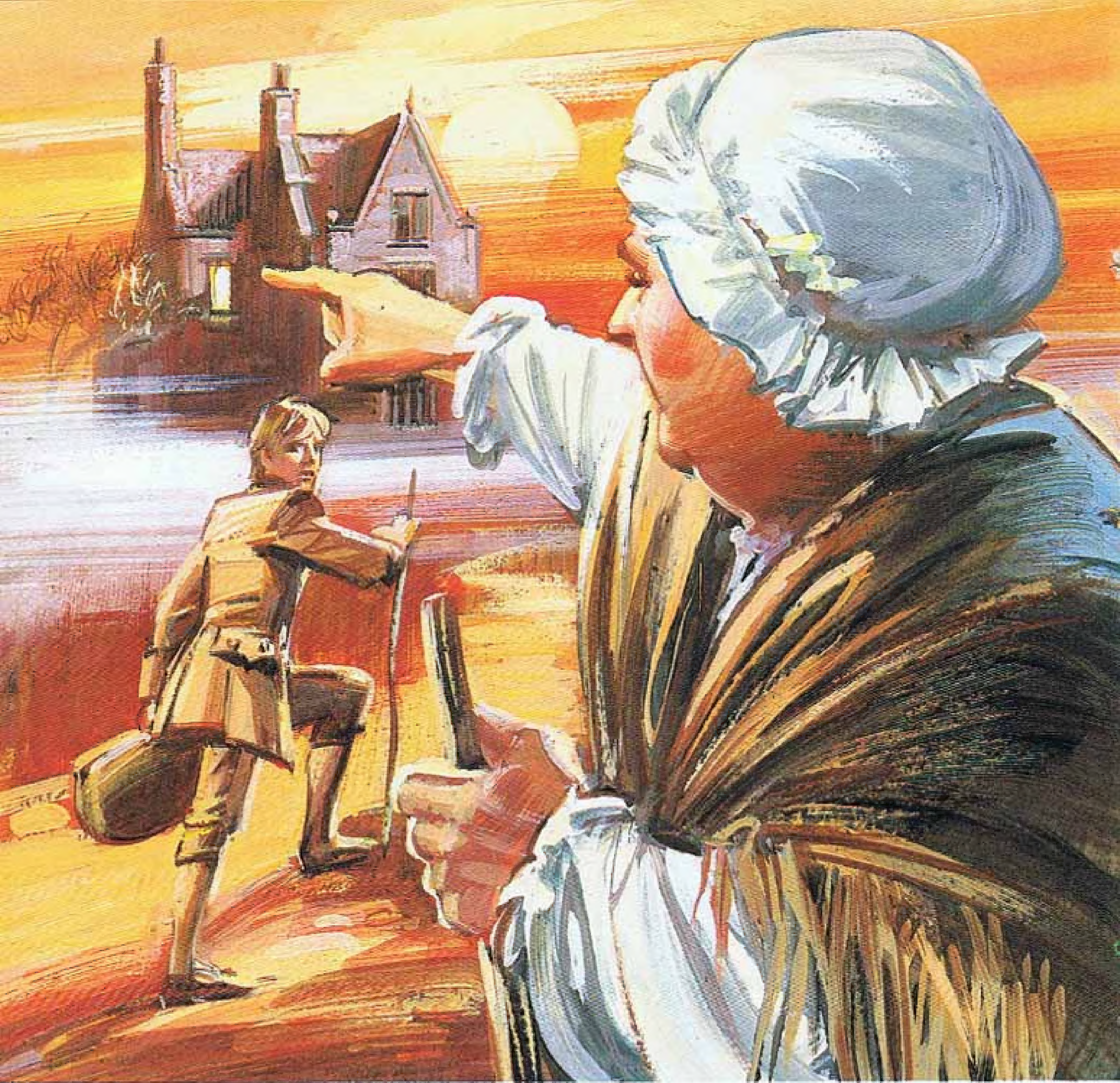
إِقْتَرَبْتُ مِنَ الْقَصْرِ فِلَاحَظْتُ أَنَّ دُخَانًا قَلِيلًا يَتَصَاعَدُ مِنَ الْمِدْخَنَةِ ، فَبَعَثَ ذَلِكَ فِي
قَلْبِي بَعْضَ الْأَمَلِ .

قَرَعْتُ الْبَابَ مَرَّاتٍ ، وَصِحْتُ وَنَادَيْتُ بِضَعِ دَقَائِقَ . وَأَخِيرًا سَمِعْتُ فَوْقِي سَعْلَةً .
قَفَزْتُ إِلَى الْوَرَاءِ مَذْعُورًا وَرَفَعْتُ رَأْسِي أَنْظُرُ إِلَى أَعْلَى ، فَرَأَيْتُ بُنْدُقِيَّةً قَصِيرَةً عَتِيقَةً
الطَّرَازِ مُوجَّهَةً إِلَيَّ .

كَانَتْ الْبُنْدُقِيَّةُ فِي يَدِ عَجُوزٍ ذَابِلٍ صَاحٍ بِي مُحَذِّرًا : «إِنَّهَا مَحْشُوءَةٌ !»

هَتَفْتُ وَأَنَا أَرْتَعِشُ : «أَحْمِلْ رِسَالَةً إِلَى السَّيِّدِ ابْنِزَر فور .»

أَجَابَنِي الْعَجُوزُ : «ضَعِ الرِّسَالَةَ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ وَامْضِ .»



أَغْضَبَنِي تَصَرُّفُ الْعَجُوزِ غَيْرُ اللَّائِقِ فَصِحْتُ : « لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ . فَإِنَّ عَلَيَّ أَنْ أُسَلِّمَهَا
إِلَى السَّيِّدِ فَوْرٍ شَخْصِيًّا . »

صَمَتَ الْعَجُوزُ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ : « وَمَنْ أَنْتَ ؟ »

أَجَبْتُ : « أَنَا رُوبِنْ فُورٍ . »

إِخْتَفَى رَأْسُ الْعَجُوزِ مِنَ النَّافِذَةِ ، ثُمَّ سَمِعْتُ أَقْفَالَ الْبَوَابِ تُفْتَحُ . وَأَخِيرًا أَذِنَ لِي
بِالدُّخُولِ .



رَأَيْتُ أَمَامِي عَجُوزًا فِي نَحْوِ السِّتِينَ مِنْ عُمْرِهِ ، نَحْبِلًا مَحْنِيَّ الظَّهْرِ ، غَيْرَ حَلِيقٍ وَذَا
وَجْهِ كَالطِّينِ لَوْنًا . قَادَنِي الْعَجُوزُ إِلَى الْمَطْبَخِ وَقَدَّمَ لِي حَسَاءً بَارِدًا كَرِيهَ الطَّعْمِ .

فَجَاءَ مَدًّا يَدًا مُجَعَّدَةً وَقَالَ : « أَرِنِي الرِّسَالَةَ . »

وَبَدَأَ لِي الْعَجُوزُ خَادِمًا فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ الْوَاسِعِ ، فَقُلْتُ : « الرِّسَالَةُ لَيْسَتْ لَكَ . إِنَّهَا
لِلسَّيِّدِ فُورٍ . »

رَدَّ الْعَجُوزُ بِضِيقٍ قَائِلًا : « وَمَنْ تَظُنُّنِي أَكُونُ ؟ هَاتِ رِسَالَةَ الْكُسْنَدَرِ . »

شَهِقْتُ عِنْدَمَا سَمِعْتُ الْعَجُوزَ يَذْكُرُ اسْمَ أَبِي . وَرَأَى الْعَجُوزُ انْدِهَاشِي ، فَكَشَفَ عَنْ
أَسْنَانِهِ وَقَالَ : « أَنَا عَمُّكَ يَا رُوبِنْ . أَعْطِنِي الرِّسَالَةَ ! »

فَهَذَا الْمَخْلُوقُ الْقَمِيءُ التَّعِيسُ إِذَا هُوَ عَمِّي . وَتَمَلَّكَنِي شُعُورٌ عَارِمٌ بِالْخَجَلِ .

أَمْسَكَ الرِّسَالَةَ ، وَقَلَّبَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَبَادَرَنِي فَجَاءَةً بِصَوْتٍ حَادٍّ قَائِلًا :
« أَحْسِبُكَ قَرَأْتَ الرِّسَالَةَ وَجِئْتَ تَطْلُبُ مِنِّي مَا لَا ؟ »

أَغْضَبَتْنِي تِلْكَ الْمُلَاحَظَةُ الظَّالِمَةُ ، فَأَشْرْتُ مُهْتَاجًا إِلَى الرِّسَالَةِ قَائِلًا : « أَلَا تَرَى أَنَّ
الْخَتَمَ لَا يَزَالُ عَلَى حَالِهِ ؟ صَحِيحٌ أَنِّي جِئْتُ آمِلًا فِي عَوْنِكَ ، لَكِنِّي لَسْتُ مُتَسَوِّلًا ، وَلَا
أَطْمَعُ فِي شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ حَقِّي . »

حَاوَلَ عَمِّي تَهْدِئَتِي بِصَوْتٍ بَدَأَ صَادِقًا ، لَكِنَّهُ لَمْ يُفْلِحْ فِي كَسْبِ ثِقَتِي .

قَالَ : « هَدِّئِي مِنْ رَوْعِكَ . سَنَكُونُ صَدِيقَيْنِ . أَنْتَ هُنَا عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . تَعَالِ
أُرِيكَ سَرِيرَكَ . »

أَطَعْتُ الْعَجُوزَ وَسِرْتُ مَعَهُ فِي الظَّلَامِ إِلَى غُرْفَةٍ بَارِدَةٍ رَطْبَةٍ . وَطَلَبْتُ شَمْعَةً ، فَرَفَضَ
طَلْبِي قَائِلًا إِنَّهُ يَخْشَى نُشُوبَ حَرِيقٍ .

وَهَكَذَا أَمْضَيْتُ تَحْتَ سَقْفِ عَمِّي لَيْلَةً بَائِسَةً ، نِمْتُ فِيهَا عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّ السَّرِيرَ
كَانَ رَطْبًا رُطُوبَةَ الْغُرْفَةِ نَفْسِهَا .

في صباح اليوم التالي تناولتُ فطوراً من المَهْلِيَّةِ الباردة ، ثُمَّ جَلَسْتُ أَنَا وَعَمِّي لِنَتَحَدَّثَ في الأمرِ .

أَخَذَ عَمِّي بِسَأَلِي عَنْ أُسْرَتِي بِكَثِيرٍ مِنَ الْجَلَافَةِ وَالصَّفَاقَةِ فَاسْتَبَدَّ بِي الْغَضَبُ وَنَهَضْتُ مُزْمِعاً عَلَى الرَّحِيلِ . لَكِنَّهُ تَعَلَّقَ بِي وَنَاشَدَنِي أَنْ أَقِيمَ مَعَهُ أَيَّاماً ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ عَيْنِيهِ كَانَتَا تَفْضَحَانِ مَقْتَهُ لِي وَحِقْدَهُ الشَّدِيدَ عَلَيَّ . وَقَدْ أَرَبَكَنِي تَصْرُفُهُ ذَلِكَ ، لَكِنِّي وَافَقْتُ أَخيراً عَلَى طَلْبِهِ .

مَرَّ النَّهَارُ بَطِيئاً ، اسْتَكْشَفْتُ فِي أَثْنَائِهِ الْقَصْرَ سَعِيداً بِتَخَلُّصِي مِنْ صُحْبَةِ عَمِّي الْمُقْبِتَةِ الْجَافِيَةِ .

وَقَضَيْتُ سَاعَاتٍ فِي الْمَكْتَبَةِ أَقْلَبُ بِسَعَادَةٍ صَفَحَاتِ الْكُتُبِ الْكَثِيرَةِ هُنَاكَ . وَرَأَيْتُ فِي بَاطِنِ غِلَافِ أَحَدِ الْكُتُبِ إِهْدَاءً كُتِبَهُ أَبِي ، هُوَ الْآتِي : «إِلَى أَخِي إِبْنِزَرٍ فِي عِيدِ مِيلَادِهِ الْخَامِسِ .»

حَيَّرَتْنِي تِلْكَ الْعِبَارَةُ . فَهِيَ تَنْقُضُ مَا كَانَ قَدْ رَسَخَ فِي ذَهْنِي مِنْ أَنَّ أَبِي هُوَ الْأَصْغَرُ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَصْغَرُ لَكَانَ هُوَ وَارِثَ قَصْرِ آلِ شُوز . لَقَدْ كُتِبَ ذَلِكَ الْإِهْدَاءُ بِخَطِّ سَلِيمٍ لَا يَصْدُرُّ عَنْ طِفْلِ دُونَ الْخَامِسَةِ مِنْ عُمُرِهِ .

ذَهَبْتُ إِلَى عَمِّي وَسَأَلْتُهُ إِنْ كَانَ أَبِي قَدْ تَمَيَّزَ فِي طُفُولَتِهِ بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ .

أَجَابَ : «الْكُسْنَدَرُ؟ لَا ، لَمْ يَكُنْ يُدَانِينِي فِطْنَةً وَمَهَارَةً .»

زَادَ ذَلِكَ فِي حَيْرَتِي ، وَسَأَلْتُهُ إِنْ كَانَ هُوَ وَأَبِي تَوَآمَيْنِ . قَفَزَ عَمِّي مِنْ مَقْعَدِهِ وَأَمْسَكَنِي مِنْ مِعْطَافِي بِخُشُونَةٍ . وَرَأَيْتُ شَفَتَيْهِ تَرْتَعِشَانِ غَضَباً . وَبَدَأَ يُجَاهِدُ مُحَاوِلاً كَسْمَ هِيَاجِهِ . وَظَلَّ بَعْضَ الْوَقْتِ يَتَفَيَّضُ غَضَباً ، ثُمَّ هَدَأَ أَخيراً وَأَفْلَتَنِي .

خَطَرَ فِي بَالِي عِنْدَئِذٍ أَنَّ عَمِّي مَجْنُونٌ . جَلَسْنَا ، وَاحِدُنَا قُبَالَةَ الْآخَرِ ، مِنْ دُونِ أَنْ تَغِيبَ عَنْ عَيْنِي صُورَةُ هِيَاجِهِ الْمُفَاجِئِ .

قُلْتُ فِي نَفْسِي : «إِنْ لَمْ يَكُنْ مَجْنُوناً ، فَإِنَّهُ يُحَاوِلُ ، إِذَا ، أَنْ يُخْفِيَ عَنِّي أَمراً .»

وَرَحْتُ أَقْلَبُ الْأَمْرَ عَلَى وُجُوهِهِ فَرَسَخَ فِي ذِهْنِي أَنَّ أَبِي هُوَ الْأَكْبَرُ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ وَأَنَّ
عَمِّي سَلَبَنِي حَقِّي الشَّرْعِيِّ فِي الْمِيرَاثِ. وَكَانَ عَمِّي فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ يُرَاقِبُنِي كَمَا يَقْعَلُ جُرْدٌ
وَقَعَ فِي الْفَخِّ. وَكُنْتُ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّهُ يَنْوِي بِي شَرًّا.

أَخِيرًا كَسَرَ عَمِّي الصَّمْتَ الْقَلِقَ بِالْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ: «يَا رُوَيْنَ، سَأُعْطِيكَ بَعْضَ الْمَالِ.
كُنْتُ وَعَدْتُ أَبَاكَ بِذَلِكَ. سَأُعْطِيكَ نَحْوَ أَرْبَعِينَ جُنِيَهًا. أَخْرُجْ دَقِيقَةً وَسَاتِيكَ بِالْمَبْلَغِ.»
أَذْهَلَنِي ذَلِكَ الْكَرَمُ الْمُفَاجِئُ، وَبَدَأَ لِي أَنَّهُ تَلْفِيقَةٌ جَدِيدَةٌ مِنْ تَلْفِيقَاتِ عَمِّي الشَّرِيرَةِ.
عَلَى أَنَّ الْفُضُولَ دَفَعَنِي إِلَى أَنَّ أَتْرَكَ الْغُرْفَةَ حُبًّا بِمَعْرِفَةِ مَا يَنْوِي فِعْلُهُ. وَكَانَ جَوْ ثَلَاثَ اللَّيَالِي
مَشْحُونًا بِالضُّبَابِ يُنْذِرُ بِالْعَوَاصِفِ.



استدعاني عمي بعد دقائق ، وعدَّ ببطء في يدي سبعةً وثلاثين جنبها . وكان ما تبقى
من المبلغ نقوداً معدنيةً ، وقف لحظة يفكر وهو ينظر إليها ، ثم غلب عليه الجشع
فدسها في جيبه .

على أي حال فقد أذهلني ذلك الانقلاب في مجرى الأمور ، ورحت أشكره صادقاً
على نهيته . لكنه أشار بيده إشارة من لا يطمع في الثناء ، وسألني خدمةً صغيرة . ولم أقو
على الرّفص على الرغم أني ارتبّت في ما طلب مني وشعرت أنه يدبر لي أمراً .
« أنا عجوز ، يا روبن ، وأحتاج إلى عون في هذا المترل الواسع . أتساعدني في
ذلك ؟ »

أجبت : « طبعاً ، يا سيدي . »

قال : « فلنبداً الآن إذا . » ثم سلّمني مفتاحاً صدئاً وهو يقول : « إليك مفتاح البرج
الجانبى . لا يمكن الوصول إلى ذلك البرج إلا من الخارج ، إذ إن ذلك الجانب من
القصر لم يكتمل بناؤه قط . تجد في قِمة البرج صندوقاً . جئني به ، فإن فيه أوراقاً
مهمّة . »

رَفَضَ أنْ يُعْطِيَنِي شَمْعَةً ، لكنه أكّد لي أن درج البرج في حالةٍ صالحةٍ . وعلى الرغم
من تسرب القلق إلى نفسي فقد شرعت في مهمتي .

كانت العاصفة قد أخذت تقرب ، وسرّعان ما بدأت أصوات الرعد تتوالى . رُحْتُ
أتلّسُ طريقي في الظلام إلى أن وصلت إلى بوابة البرج .

وبينما كنت أدير المفتاح في قفل البوابة لَمَعَ بَرَقٌ خاطفٌ عظيمٌ بهرَ بصري . ورأيتُ
نَفْسِي أَدْخُلُ البرج مُتَعَثِّراً . بدأتُ بصعود درجات البرج الخشبية ، ووجدتها ، في أول
الأمر ، ثابتةً . ثم لاحظتُ في أثناء صعودي أن الدرجات أخذت تئن وتتحرك تحت
قدمي . فحيرني ذلك وأقلقني .

ثم لَمَعَ ضَوْءُ البرق ثانيةً حاملاً لي الجواب على حيرتي وقلقي . فقد رأيتُ نفسي فوق
درجٍ يُوشِكُ أن ينهار ، وعلى بُعد خطواتٍ من حافةٍ هاويةٍ عميقةٍ !



أَحْسَسْتُ بِالدَّمِ يَجُمُّدُ فِي عُرْوِي . فَقَدْ أُرْسَلَنِي عَمِّي عَمْدًا إِلَى حَتْفِي . فَتَرَجَعْتُ بِبُطْنٍ
وَنَزَلْتُ دَرَجَاتِ الْبُرْجِ ، وَأَنَا فِي أَشَدِّ حَالَاتِ الذُّعْرِ وَالْهَيْبِاجِ .

فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي وَصَلْتُ فِيهَا الْأَرْضَ سَالِمًا شَرَعْتُ أَبْحَثُ عَنْ عَمِّي . وَجَدْتُهُ فِي
الْمَطْبَخِ يَجْرَعُ الشَّايَ بِعَصِيَّةٍ . كَانَ ظَهْرُهُ لِي وَرَأَيْتُ كَفَيْهِ يَهْتَزُّانِ اهْتِرَازًا عَنِيفًا .
وَأَدْرَكْتُ أَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّ خُطَّتَهُ قَدْ نَجَحَتْ ، وَأَنَّهُ يَجْرَعُ الشَّايَ احْتِفَالًا بِمَوْتِي
الْمُفَاجِئِ ، أَوْ ، وَهُوَ الْغَالِبُ ، سَعْيًا مِنْهُ إِلَى تَهْدِئَةِ أَعْصَابِهِ .

تَسَلَّلْتُ وَرَاءَهُ مُكْشِرًا عَنْ أَسْنَانِي وَلَمَسْتُ كَفَيْهِ . فَصَعَقْتُهُ الْمُفَاجِئَةُ وَسَقَطَ عَلَى
الْأَرْضِ مُغْمًى عَلَيْهِ ، وَبَدَأَ أَشْبَهَ بِكَيْسٍ مِنْ عِظَامٍ مِنْهُ بِكَائِنٍ بَشَرِيٍّ . أَتَقَطَّتْهُ مِنْ إِغْمَائِهِ ،
لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي حَالٍ تَسْمَحُ لَهُ بِالْكَلامِ . أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ إِشْفَاقًا لَا مَحَلَّ لَهُ ، فَتَوَقَّفْتُ عَنْ
تَخْوِيفِهِ ، وَاكْتَفَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِحَجْرِهِ فِي غُرْفَتِهِ وَإِقْفَالِ الْبَابِ عَلَيْهِ .

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي دَخَلْتُ غُرْفَةَ عَمِّي مُبْتَسِمًا ، وَقُلْتُ : « وَالْآنَ ، يَا سَيِّدِي ، هَلْ
لَكَ أَنْ تُفَسِّرَ لِي مَعْنَى فِعْلَتِكَ النِّكَرَاءِ مَسَاءَ أُمْسٍ ؟ »

رَدَّ عَلَيَّ بِصَوْتٍ وَاهِنٍ قَائِلًا إِنَّهَا كَانَتْ مَرَحَةً . فَضَحِكْتُ ضِحْكَةً عَالِيَةً مِنْ ذَلِكَ
الْعُذْرِ الْوَاهِي . عِنْدَئِذٍ قَالَ :

« لِيَكُنْ مَا تُرِيدُ . سَأُشْرَحُ لَكَ الْأَمْرَ كُلَّهُ بَعْدَ وَجِبَةِ الصَّبَاحِ . »

وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ يُحَاوِلُ أَنْ يَكْسِبَ وَقْتًا يُعَدُّ فِيهِ كِذْبَهُ أُخْرَى . وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ
سَمِعْنَا صَوْتَ قَرَعٍ عَلَى الْبَابِ . فَتَحْتُ الْبَابَ فَوَجَدْتُ أُمَامِي فَنَى نَحِيلًا شَاحِبَ الْوَجْهِ .



كَانَ الْفَتَى يَعْمَلُ خَادِمًا فِي سَفِينَةٍ كَوَفَّيْتُ الشَّرَاعِيَّةَ ، وَقَدْ جَاءَ بِحَمِلٍ رِسَالَةً إِلَى عَمِّي مِنْ قُبْطَانِ السَّفِينَةِ السَّيِّدِ هُوزِنَ .

قَرَأَ عَمِّي الرِّسَالَةَ ثُمَّ قَالَ : «إِنَّ لَدَيَّ عَمَلًا مَعَ الْقُبْطَانِ هُوزِنَ . إِنْ كُنْتَ تَرُغِبُ فِي مُرَافَقَتِي إِلَى السَّفِينَةِ ، فَسَتَقُومُ ، أَنَا وَأَنْتَ ، بَعْدَ إِنْجَازِ عَمَلِي مَعَ الْقُبْطَانِ ، بِزِيَارَةِ السَّيِّدِ رَنْكِيلَرِ . لَقَدْ كَانَ السَّيِّدُ رَنْكِيلَرُ صَدِيقًا مُخْلِصًا مِنْ أَصْدِقَاءِ أَبِيكَ ، وَسَيُعْطِيكَ إِجَابَاتٍ شَافِيَةً عَنْ أَسْئَلَتِكَ كُلِّهَا .»

كُنْتُ ، بِطَبِيعَةِ الْحَالِ ، مُتَلَهِّفًا لِمُقَابَلَةِ السَّيِّدِ رَنْكِيلَرِ ، كَمَا كُنْتُ رَاجِبًا فِي الصُّعُودِ إِلَى مَتْنِ سَفِينَةٍ وَاسْتِكْشَافِ دَاخِلِهَا ، فَوَافَقْتُ رَاضِيًا عَلَى مَا اقْتَرَحَ عَمِّي .

ظَلَّ عَمِّي صَامِتًا طَوَالَ الطَّرِيقِ ، لَكِنْ صُحْبَةُ الْفَتَى سَلَّتْنِي . كَانَ اسْمُهُ رَانْسُمُ ، وَقَدْ أَعْطَانِي وَصْفًا نَابِضًا بِالْحَيَاةِ لِلصُّعُوبَاتِ الَّتِي يَعْيشُهَا الْإِنْسَانُ عَلَى مَتْنِ سَفِينَةِ الْكَوَفَّيْنَتِ . كَمَا وَصَفَ لِي طِبَاعَ الْبَحَّارَةِ الشَّرِسَةِ ، وَبِخَاصَّةِ طِبَاعِ الضَّابِطِ الْأَوَّلِ ، السَّيِّدِ شُونِ ، الَّذِي كَانَ قَدْ ضَرَبَ الْفَتَى فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ نَفْسَهُ ضَرْبًا مُبْرَحًا . عَلَى أَنَّ الْفَتَى كَانَ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ ، يُؤَثِّرُ حَيَاتُهُ الْقَاسِيَةَ تِلْكَ عَلَى عَيْشَةٍ مُطْمَئِنَّةٍ هَادِئَةٍ فَوْقَ الْبَرِّ .

عِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى بَلَدَةِ كُوَيْتْزُفْرِي الْقَرِيبَةِ رَأَيْتُ الْكَوَفَّيْنَتَ رَاسِيَةً عَلَى بُعْدِ نِصْفِ مِيلٍ مِنَ الشَّاطِئِ . وَكَانَ رَانْسُمُ قَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّ السَّفِينَةَ تَحْمِلُ رَقِيقًا إِلَى أَمِيرِكَ الشُّمَالِيَّةِ . وَرَأَيْتُ أَلْوَانَ السَّفِينَةِ الْقَائِمَةِ وَشَكْلَهَا الْقَبِيحَ فَصَدَّقْتُ مَا رَوَاهُ لِي صَاحِبِي . وَعَزَمْتُ عَلَى أَلَا نَطَأَ قَدَمَايَ مَتْنِ تِلْكَ السَّفِينَةِ الْمُرْعِبَةِ .



قَابَلْنَا الْقُبْطَانَ هُوزِنَ فِي نَزْلٍ وَقَعَ فِي وَسْطِ الْبَلَدَةِ . كَانَ رَجُلًا طَوِيلًا دَاكِنَ الْبَشَرَةِ ،
صَارِمَ الْهَيْئَةِ . وَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى جَانِبِ مِدْفَاقٍ مُسْتَعِرَةٍ ، وَقَدْ لَبَسَ سِتْرَةً بَحْرِيَّ كَاسِيَةً وَطَاقِيَةً
تُغْطِي أُذُنَيْهِ . وَرَأَى الدَّهْشَةَ فِي عُيُونِنَا ، فَأَوْضَحَ أَنَّهُ أَمْضَى فِي الْبِلَادِ الْحَارَّةِ سِنِينَ كَثِيرَةً
فَلَمْ يَعُدْ يَحْتَمِلُ الْجَوَّ الْبَارِدَ .

آثَرْتُ أَنْ أَتْرُكَ الرَّجُلَيْنِ إِلَى عَمَلِهِمَا ، وَأَسْعَدَنِي أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ حَرَارَةِ الْغُرْفَةِ
الْخَانِقَةِ . وَمَشَيْتُ أَنَا وَرَأْسُ صَوْبِ الْمِينَاءِ ، وَتَوَقَّفْنَا فِي مَقْهَى نَشْرَبُ عَصِيرَ الْفَاكِهَةِ .



وَرَغِبْتُ فِي أَنْ أَسْمَعَ رَأْيَ رَجُلٍ مُحَايِدٍ فِي عَمِّي ، فَتَحَدَّثْتُ مَعَ صَاحِبِ الْمَقْهَى .
وَبَدَأْتُ بِأَنْ سَأَلْتُهُ إِنْ كَانَ يَعْرِفُ السَّيِّدَ رَنْكِيلَرَ .

أَجَابَ : « نَعَمْ أَعْرِفُهُ . إِنَّهُ رَجُلٌ صَادِقٌ حَقًّا . »

ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْ رَأْيِهِ فِي عَمِّي .

أَجَابَ : « إِنَّهُ عَجُوزٌ شَرِيرٌ مَكْرُوهٌ . كَانَ فِيمَا مَضَى رَجُلًا صَالِحًا إِلَى أَنْ شَوَّهَتْ
الْإِشَاعَاتُ سَمْعَتَهُ . »

أَلْهَبَ ذَلِكَ فُضُولِي ، فَسَأَلْتُ : « أَيُّ إِشَاعَاتٍ ؟ »

أَجَابَ صَاحِبُ الْمَقْهَى ، وَهُوَ يَتْرُكُنِي إِلَى زَبُونٍ آخَرَ : « يُقَالُ إِنَّهُ قَتَلَ أَخَاهُ الْأَكْبَرَ
لِيَسْتَوْلِيَ عَلَى قَصْرِ آلِ شُوز . »

قُلْتُ فِي نَفْسِي : « إِذَا كُنْتُ عَلَى حَقٍّ ، فَأَنَا الْوَرِثُ الشَّرْعِيُّ لِقَصْرِ آلِ شُوز . وَعَمِّي
يُحَاوِلُ سَلْبَ هَذَا الْمِيرَاثِ مِنِّي . »

عُدْتُ إِلَى التُّرُلِ وَقَدْ عَقَدْتُ الْعَزْمَ عَلَى أَنْ أَكْتُمَ شُكُوكِي إِلَى أَنْ أَرَى السَّيِّدَ رَنْكِيلَرَ .
وَقَدْ اسْتَقْبَلَنِي الْقُبْطَانُ هُوزِنٌ فِي التُّرُلِ اسْتِقْبَالًا وَدَيًّا ، وَوَضَعَ ذِرَاعَهُ فِي ذِرَاعِي وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ
أَنْ يُسِيرَ لِي بِشَيْءٍ ، وَقَالَ :

« أَنْتَ شَابٌّ لَطِيفٌ . تَعَالَ مَعِيَ فَأَرِيكَ السَّفِينَةَ وَنَشْرَبَ الشَّايَ وَنَتَحَدَّثُ . »

أَجَبْتُ : « شُكْرًا ، لَكِنِّي ذَاهِبٌ مَعَ عَمِّي لِرُؤْيَةِ السَّيِّدِ رَنْكِيلَرَ . »

قَالَ : « أَخْبِرْنِي عَمَّكَ بِأَمْرِ هَذِهِ الزَّيَارَةِ ، لَكِنَّ السَّفِينَةَ سَتُعِيدُكَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتُتْرَكُ
إِلَى الْبَرِّ قَرِيبًا جِدًّا مِنْ مَنَزِلِ السَّيِّدِ رَنْكِيلَرَ . »

ثُمَّ مَالَ عَلَيَّ فَجَاءَةً وَهَمَسَ فِي أُذُنِي قَائِلًا : « إِحْذَرْ عَمَّكَ - إِنَّهُ رَجُلٌ خَطِرٌ . تَعَالَ
مَعِيَ إِلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ فَأُطْلِعَكَ عَلَى خُطَّةٍ سَرِيَّةٍ يُعِدُّهَا لِقَتْلِكَ ! »

حَسِبْتُ أَنِّي وَجَدْتُ صَدِيقًا أَمِينًا ، فَوَافَقْتُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى سَفِينَةِ الْكَوْفَيْنَتِ .
وَرَكِبَ عَمِّي إِبْنِزَرَ وَرَأْسُهُ إِلَى جَانِبِي فِي الْقَارِبِ الَّذِي سَيَحْمِلُنَا إِلَى السَّفِينَةِ .

عِنْدَمَا وَصَلْنَا السَّفِينَةَ رُفِعْتُ إِلَى مَتْنِهَا بِسُرْعَةٍ ، فَسَبَّتُ لِي تِلْكَ الْحَرَكََةُ الْمُفَاجِئَةُ دُورًا
خَفِيفًا ، وَتَرَنَنْحْتُ قَلِيلًا . ثُمَّ التَفْتُ حَوْلِي فَلَمْ أَرَ عَمِّي ، فَقُلْتُ :

« أَيْنَ عَمِّي إِبْنِزَر؟ »

فَجَاءَنِي صَوْتُ الْقُبْطَانِ هَوِزَنٍ مِنْ خَلْفٍ يَقُولُ : « صَحِيحٌ ، أَيْنَ هُوَ؟ » فَالْتَفْتُ
أَوَاجَهُ .

كَانَ وَجْهُهُ يَقْطُرُ شَرًّا وَلُؤْمًا وَكَانَ صَوْتُهُ جَافًا قَاسِيًا .

إِنْدَفَعْتُ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ فِي دُغْرِ ، فَرَأَيْتُ عَمِّي يَعُودُ إِلَى الشَّاطِئِ فِي الْقَارِبِ .

أَحْسَسْتُ بِالضِّيَاعِ ، وَصَحْتُ : « النَّجْدَةُ ! النَّجْدَةُ ! سَيَقْتُلُونِي ! »

إِلْتَفَتَ عَمِّي نَحْوِي ، فَرَأَيْتُ عَلَى وَجْهِهِ الشَّرِيرِ ابْتِسَامَةً النَّصْرِ الَّتِي انْطَبَعَتْ فِي مُخِيلَتِي
إِلَى الْأَبَدِ . ثُمَّ شَعَرْتُ بِضَرْبَةٍ عَنِيفَةٍ عَلَى مُؤَخَّرَةِ رَأْسِي ، رَافَقَهَا وَمِیْضٌ أَيْبُضٌ عَظِيمٌ ، ثُمَّ
- سَوَادٌ غَيَّبَ مَعَهُ عَنِ الْوَعْيِ .

عِنْدَمَا أَفَقْتُ مِنْ إِغْمَائِي كُنْتُ أَشْعُرُ بِغَشْيَانٍ ، وَكُنْتُ مُقَيَّدًا فِي مَكَانٍ بَارِدٍ وَمُظْلِمٍ . لَا
أَذْكُرُ كَمْ مِنَ الْأَيَّامِ بَقِيتُ مُحْتَجِزًا فِي السَّفِينَةِ ، وَحِيدًا وَخَائِفًا . لَقَدْ أَنْهَكْتَ الْحُمَى
جَسَدِي وَأَضْنَتِ الْكَوَابِيسُ الْمُرْعِبَةَ فِكْرِي وَعَذَّبَتْنِي .

ثُمَّ نُقِلْتُ ، بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ طَبِيبِ السَّفِينَةِ ، السَّيِّدِ رَايْتِشْ ، إِلَى الْعَنْبَرِ الْأَمَامِيِّ .
وَبَدَأْتُ هُنَاكَ أَسْتَعِيدُ عَافِيَتِي بِطُءٍ ، وَأَتَعَرَّفُ إِلَى الْبَحَّارَةِ وَحَيَاةِ الْبَحْرِ . وَبَدَأْتُ ،
كَذَلِكَ ، أَفَكِّرُ فِي مَا يَنْتَظِرُنِي مِنْ مَصِيرٍ . فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّي سَأُبَاعُ فِي أَمِيرْكََا بَيْعَ الرَّفِيقِ .



ذاتَ لَيْلَةٍ سَرَتْ بَيْنَ الْبَحَّارَةِ إِشَاعَةٌ تَرَدَّدَتْ فِي كَلِمَاتٍ هِيَ : «شُونَ قَضَى عَلَيْهِ
أَخِيرًا !»

وَسُرَّعَانَ مَا تَبَيَّنَ أَنَّ شُونَ هَاجَمَ فِي إِحْدَى نَوْبَاتِ غَضَبِهِ الْفَتَى رَانْسُمَ وَانْهَالَ عَلَيْهِ
رَفْسًا وَلَكُمًّا . ثُمَّ جَاءَ فِي الْقُبْطَانُ يُحَدِّثُنِي بِلَهْجَةٍ مَارِحَةٍ مُفَاجِئَةً . وَقَالَ :
«أُرِيدُكَ أَنْ تَخْدِمَ فِي السَّفِينَةِ مَحَلًّا رَانْسُمَ .»

خَرَجْتُ مِنَ الْعَنْبَرِ الَّذِي أَنَا فِيهِ فَرَأَيْتُ رَجُلَيْنِ يَحْمِلَانِ جَسَدَ رَانْسُمَ . تَفَرَّسْتُ فِي
الرَّأْسِ الْمُتَدَلِّي فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ صُفْرَةَ الْمَوْتِ .

رَأَى شُونَ ، الَّذِي كَانَ قَرِيبًا مِنِّي ، أَتَفَرَّسُ بِحُرْقَةٍ فِي صَدِيقِ الْمَيِّتِ ، فَانْتَهَرَنِي قَائِلًا :
«أَغْرُبُ عَنْ وَجْهِهِ !» فَجَرَيْتُ مَذْعُورًا .





شَغَلَّتْنِي مُهِمَّاتِي الْجَدِيدَةُ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي تَلَتْ تِلْكَ الْحَادِثَةَ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا
كَانَتْ مُهِمَّاتٍ شَاقَّةً وَمُذِلَّةً فَقَدْ أَحْسَنْتُ لِي مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا صَرَفَتْني عَنِ التَّفْكِيرِ فِي مُسْتَقْبَلِي
الْقَاتِمِ.

وَلَمَّا كَانَتْ الرِّيحُ مُعَاكِسَةً لَنَا فَقَدْ تَقَدَّمَتِ السَّفِينَةُ تَقَدُّمًا بَاطِلًا. وَفِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ
بَدَءِ رِحْلَتِنَا كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا ضَبَائِيًّا، وَكَانَتْ الرُّؤْيَةُ سَيِّئَةً. وَبَيْنَمَا أَنَا مُنْهَمِكٌ فِي أَشْغَالِي
سَمِعْتُ مَنْ يَصْرُخُ قَائِلًا: «أُصِيبَتِ السَّفِينَةُ».

إِنْدَفَعَ الْبَحَّارَةُ جَمِيعًا إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ يَسْتَظِلُّعُونَ الْأَمْرَ، وَقَدْ دَخَلَ فِي رَوْعِهِمْ أَنَّ
سَفِينَتَهُمْ قَدْ اصْطَلَمَتْ بِالصُّخُورِ. لَكِنْ تَبَيَّنَ أَنَّهَا اصْطَلَمَتْ بِمَرْكَبِ صَيْدٍ صَغِيرٍ
فَحَطَّمَتْهُ تَحْطِيمًا.

وَقَدْ ابْتَلَعَتِ الْأَمْوَاجُ رِجَالَ مَرْكَبِ الصَّيْدِ كُلَّهُمْ، مَا عَدَا وَاحِدًا مِنْهُمْ رَمَى نَفْسَهُ عَلَى
حَبْلِ مِنَ الْحِبَالِ الَّتِي قَذَفْنَا بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَنَجَا بِحَيَاتِهِ.

أَنْزَلَ الْقُبْطَانُ الرَّجُلَ النَّاجِيَ فِي الْعَنْبَرِ الْخَلْفِيِّ وَأَمَرَ لَهُ بِكُوبٍ مِنَ الشَّايِ السَّاخِنِ
يُنْعِشُهُ. وَبَدَأَ الرَّجُلُ ضَيْلَ الْجِسْمِ رَشِيقًا، ذَا شَخْصِيَّةٍ أَسِيرَةٍ، أُنِيقًا فِي مَلْبَسِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ.
وَكَانَ يَتَقَلَّدُ سَيْفًا وَيَتَمَنِّطُ بِمُسَدَّسَيْنِ رَشِيقَيْنِ لَامِعَيْنِ.

عَرَفْتُ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْ حَدِيثِهِ مَعَ الْقُبْطَانِ أَنَّهُ مِنْ أَنْصَارِ آلِ سْتِوَارْتِ ، وَهِيَ الْأُسْرَةُ
الاسْكُتْلَنْدِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَسْعَى لِاسْتِعَادَةِ الْعَرْشِ الْبَرِيطَانِيِّ وَانْتِزَاعِهِ مِنْ الْمَلِكِ جُورْجِ
الْأَوَّلِ مَلِكِ انْكِلْتِرَا وَاسْكُتْلَنْدَا . وَبَدَأَ وَاضِحًا أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ هَارِبًا إِلَى فَرَنْسَا عِنْدَمَا
غَرِقَ مَرَكَبُهُ .

عَرَضَ الرَّجُلُ عَلَى الْقُبْطَانِ هَوْزَنَ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنْ الْمَالِ لِقَاءِ نَقْلِهِ إِلَى فَرَنْسَا ، لَكِنْ
الْقُبْطَانُ رَفَضَ عَرْضَهُ . ثُمَّ تَوَصَّلَ الرَّجُلَانِ أَخِيرًا إِلَى اتِّفَاقٍ يَقْضِي بِأَنْ يُنْقَلَ الْغَرِيبُ إِلَى
مَكَانٍ مِنْ سَاحِلِ اسْكُتْلَنْدَا ذَكَرَ أَنَّ لَهُ فِيهِ أَصْدِقَاءَ ، عَلَى أَنَّ يَنَالَ الْقُبْطَانُ لِقَاءَ ذَلِكَ سِتِينَ
جَنِيهًا .

تَرَكَ الْغَرِيبُ فِي نَفْسِهِ ، بِرِشَاقَةٍ مَظْهَرِهِ وَحُسْنِ تَصَرُّفِهِ ، أَثَرًا طَيِّبًا ، فَقُلْتُ وَأَنَا أُقَدِّمُ لَهُ
طَعَامَ الْعِشَاءِ : «أَنْتَ إِذَا مِنْ أَنْصَارِ آلِ سْتِوَارْتِ ؟» وَكُنْتُ بِذَلِكَ أَسْعَى إِلَى مُبَادَلَتِهِ
الْحَدِيثَ .

أَجَابَ ، وَهُوَ يَشْرَعُ فِي تَنَاوُلِ الطَّعَامِ : «وَأَنْتَ ، كَمَا يُوحِي لِي وَجْهُكَ الْبَائِسُ ،
وَاحِدٌ مِنْ الرِّعَاعِ أَتْبَاعِ الْمَلِكِ جُورْجِ .»

وَكُنْتُ فِعْلًا مِنْ أَنْصَارِ الْمَلِكِ جُورْجِ لَكِنِّي لَمْ أَرِدْ تَحْدِيثَهُ ، فَأَجَبْتُ إِجَابَةً غَامِضَةً
قَائِلًا :

«بَيْنَ بَيْنَ .»

فَإِضَافَ الْغَرِيبُ بِلَهْجَةٍ مَرِحَةٍ : «يَعْنِي لَا شَيْءَ . يَا سَيِّدُ بَيْنَ بَيْنَ امْلَأْ لِي كُوبَ
الْعَصِيرِ .»

قُلْتُ : «سَاقِي بِزُجَاجَةٍ جَدِيدَةٍ يَا سَيِّدِي .» ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى غُرْفَةِ الْقُبْطَانِ لِأَتِيَّ مِنْهُ
بِمِفْتَاحِ عَنَبَرِ الْمُؤْنِ .

وَبَيْنَمَا أَنَا أَهْمٌ بِدُخُولِ الْغُرْفَةِ تَنَاهَتْ إِلَى مَسْمَعِي أَصْوَاتٌ خَافِتَةٌ أَثَارَتْ شُكُوكِي .

إِقْتَرَبْتُ مَا أُمَكِّنِي زَاحِفًا فَرَأَيْتُ السَّيِّدَ رَايْتِشَ وَالْقُبْطَانِ هَوْزَنَ يَتَآمِرَانِ : لِقَتْلِ الْغَرِيبِ
وَسَلْبِهِ أَمْوَالَهُ .

اسْتَبَدَّ بِِي الْغَضَبُ وَالذُّعْرُ فِي آنٍ وَاحِدٍ. لَكِنْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُحَافِظَ عَلَى هُدُوءِي ،
فَدَخَلْتُ الْغُرْفَةَ وَسَأَلْتُ عَنِ الْمِفْتَاحِ ، وَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا .

هَتَفَ رَايْنِسُ : « هَذِهِ فُرْصَتُنَا ! رُوَيْنَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَأْتِيَنَا بِالسَّلَاحِ . »

وَأَقْبَعَ الْقُبْطَانُ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَيَّ : « نَعَمْ ، فَذَلِكَ الرَّجُلُ الْمَتَّهَرُّ
الطَّائِشُ خَطَرٌ عَلَى السَّفِينَةِ . يَا رُوَيْنَ ، نُرِيدُكَ أَنْ تَأْتِيَنَا بِأَسْلِحَتِنَا وَبِالْبَارُودِ مِنْ خِزَانَةِ
السَّلَاحِ فِي الْعَنْبَرِ الْخَلْفِيِّ . فَأَنْتَ أَقْلُ الْبَحَّارَةِ إِثَارَةً لِلشُّكُوكِ ، وَيَسْهَلُ عَلَيْكَ لِذَلِكَ أَنْ تَأْتِيَنَا
بِسِلَاحِنَا . إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أُعْطِيكَ بَعْضَ الْمَالِ وَأَعِدُّكَ أَنْ أَسْعَى جَهْدِي لِمُسَاعَدَتِكَ عِنْدَمَا
نَصِلُ إِلَى أَمِيرِكَ . »

تَظَاهَرْتُ بِالْقَبُولِ ، لَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَنِّي لَنْ أَكُونَ أَبَدًا شَرِيكًا فِي جَرِيْمَةٍ قَتْلٍ .
لِذَلِكَ ، فَإِنِّي ، عِنْدَمَا عُدْتُ إِلَى الْعَنْبَرِ الْخَلْفِيِّ ، أَطْلَعْتُ الْغَرِيبَ فِي الْحَالِ عَلَى الْخَطَرِ
الَّذِي يُحِيقُ بِهِ وَتَعَهَّدْتُ بِمُسَانَدَتِهِ .

تَصَافَحْنَا وَتَعَارَفْنَا . أَخْبَرَنِي أَنَّ اسْمَهُ الْحَقِيقِيَّ أَلَنْ سْتِيوَارْت ، لَكِنَّ أَصْدِقَاءَهُ يَدْعَوْنَهُ
أَلَنْ بَرِّك . وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَنَا مَتَّسِعٌ لِحَدِيثِ طَوِيلٍ فَسُرَّعَانَ مَا سَيَكْتَشِفُ الْقُبْطَانُ عِصْيَانِي لَهُ
وَيَبْدَأُ بِالْهُجُومِ .

إِنْهَمَكْنَا سَرِيعًا فِي تَفْحُصِ أَسْلِحَتِنَا وَمَوَاقِفِنَا الدِّفَاعِيَّةِ . كَانَ بَيْنَ أَيْدِينَا عَدَدٌ مِنْ
الْمُسَدَّسَاتِ طُلِبَ إِلَيَّ أَنْ أَحْشُوها . وَامْتَشَقَّ أَلَنْ سَيْفَهُ رَاجِبًا عَنِ اسْتِعْمَالِ غَيْرِهِ مِنْ
الْأَسْلِحَةِ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ وَسَأَلَنِي :

« مَا عَدَدُ خُصُومِنَا ؟ »

قُلْتُ بَعْدَ لَحْظَةٍ تَفْكِيرٍ : « خَمْسَةٌ عَشَرَ . »

صَفَرَ صَفْرَةً خَفِيفَةً ، وَقَالَ : « يَكْفُونَنَا وَيَزِيدُونَ ! سَأُدْفِعُ عَنِ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ ،
بَيْنَمَا تُدْفِعُ أَنْتَ عَنِ الْكُوَّةِ وَذَلِكَ الْبَابِ الْجَانِبِيِّ الْمُقْفَلِ . لَا تُطْلِقِ النَّارَ فِي هَذَا الْإِتِّجَاهِ
لِنَلَّا نُصِيبَنِي . »

أَسْرَعْتُ إِلَى مَوْقِعِي . كَانَ قَلْبِي يَخْفِقُ خَفَقَانًا شَدِيدًا ، وَكُنْتُ أَرْتَجِفُ تَهَيُّبًا .
كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّنَا قَلَّةٌ ، لَكِنِّي كُنْتُ مُقْتِنِعًا أَنَّ الْمَوْتَ دِفَاعًا عَنِ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنَ
الْمَوْتِ عَبْدًا .

وَصَلَ الْقُبْطَانُ فَشَهَرَ أَلَنَ سَيْفَهُ فِي وَجْهِهِ ، فَلَمْ يَخَفِ الْقُبْطَانُ وَوَقَفَ وَقْفَةً ثَبَاتٍ وَقَالَ
بِلَهْجَةِ الْمُسْتَاءِ :

« أَهَذَا جَزَاءُ تَرْحِيبي بِكَ ؟ »

سَارَعَ أَلَنَ يَقُولُ : « أَهْجُمُ بِرِجَالِكَ ، يَا سَيِّدِي ! لَقَدْ صَرَخَ هَذَا السَّيْفُ الْكَثِيرِينَ مِنْ
رَعَاةِ الْمَلِكِ ، وَلَنْ يُحْجِمَ الْآنَ . »

لَمْ يَقُلِ الْقُبْطَانُ لِلْغَرِيبِ شَيْئًا آخَرَ ، لَكِنَّهُ رَمَقَنِي بِنَظْرَةٍ غَاظِبَةٍ كَرِيهَةٍ ، وَقَالَ بِصَوْتٍ
خَفِيفٍ مَشْحُونٍ بِالْوَعِيدِ :

« لَنْ أَنْسِيَ فِعْلَتَكَ أَبَدًا ، يَا رَوِين . » ثُمَّ اسْتَدَارَ وَمَضَى . أَمَّا أَنَا فَقَدْ جَمَدَ الدَّمُ فِي
عُرْوِي .





وسرعان ما وصل إلينا صليل السيوف التي كانت توزع على البحارة، ثم فجأة انقضى
علينا الرجال.

وكان أول القتلى السيد شون الذي قاد الهجوم. فقد تنحى صديقي الجديد جانباً في
حركة سريعة بارعة وبرز سيفه في جسد خصمه.

ورأيت في مقتل شون انتقاماً لجريمة قتل صديقي رائسم.

ثم حاول خمسة رجال تحطيم الباب المقفل. وعندما تمكنوا من إحداث فتحة فيه
أطلقت النار عشوائياً عبر الفتحة فعلت صرخة ألم مدوية. لم أكن قد أطلقت ناراً من
قبل، ولا حملت مسدساً، لكنني كنت مدعوراً وأدافع عن حياتي.

سَادَ الصَّمْتُ فَجَاءَ . فَقَدْ ارْتَدَّ الْأَعْدَاءُ لِيَلْمِلُمَا جِرَاحَهُمْ . وَوَقَفْنَا وَحَدْنَا فِي جَوْ الْغُرْفَةِ الْعَاقِبِ بِالذُّخَانِ وَرَائِحَةِ الْبَارُودِ اللَّاذِعَةِ ، وَقَدْ تَلَطَّخَ الْمَكَانُ حَوْلَنَا بِالدَّمِ . عَلَى أَيْ حَالٍ ، كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْتِصَارَ غَيْرُ نِهَائِيٍّ ، فَرُحْنَا نَنْتَظِرُ هُجُومًا جَدِيدًا .

وَسُرْعَانَ مَا بَدَأَ الْهُجُومُ الْمُتَظَرُّ ، وَرَاحَ الْبَحَارَةُ يُهَاجِمُونَنَا مِنْ جِهَتَيْ الْكُوَّةِ وَالْبَابِ الْأَمَامِيِّ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . كُنْتُ مُسْتَعِدًّا لِهَذَا الْهُجُومِ ، وَصَرَغْتُ رَجُلَيْنِ كَانَا يَتَدَلِّيَانِ مِنَ الْكُوَّةِ إِلَى دَاخِلِ الْغُرْفَةِ . وَكَانَ أَلَنَ فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ يَتَصَدَّى لِخُصُومِهِ بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ ، مُوجِّهًا ضَرْبَاتِ سَيْفِهِ الْبَتَّارِ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ . أَخِيرًا اسْتَدَارَ الْبَحَارَةُ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَقَدْ نَالَهُمْ مَا نَالَهُمْ ، وَوَلَّوْا هَارِبِينَ .

مَلَأَ الْإِنْتِصَارُ أَلَنَ نَشْوَةً وَمَرَحًا . وَنَظَمَ فِي نَشْوَةِ زَهْوِهِ أُغْنِيَةً بِلُغَةِ السُّكَّانِ الْمَحَلِّيِّينَ فِي الْمُرْتَفَعَاتِ الْأِسْكَنْدَنِيَّةِ يَصِفُ فِيهَا ذَلِكَ الْإِنْتِصَارِ . وَعَلِمْتُ فِيمَا بَعْدُ ، عِنْدَمَا تَرَجَّمَ لِي كَلِمَاتِ تِلْكَ الْأُغْنِيَةِ ، أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى ذِكْرِي فِيهَا !

أَمَّا أَنَا فَقَدْ تَذَكَّرْتُ ، عِنْدَمَا هَدَأَ ضَجِيجُ الْمَعْرَكَةِ ، أَنِّي قَتَلْتُ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ ، فَشَعَرْتُ بِالْغَشْيَانِ . وَرُحْتُ فَجَاءَ أُرْتَجِفُ وَأُبْكِي كَمَا يُبْكِي الْأَطْفَالُ .

نَسِيَ أَلَنَ مِهْرَجَانَهُ وَأَحَاطَ كَيْفِيَّ بِذِرَاعِهِ ، وَقَالَ لِي إِنِّي فَتَى شَجَاعٌ وَرَفِيقٌ مُعْتَمِدٌ . وَبَعْدَ أَنْ طِيبَ خَاطِرِي قَلِيلًا رَأَى أَنَّ أَنَا قَلِيلًا لِأُرِيحَ جَسَدِي وَفِكْرِي ، بَيْنَمَا يَقُومُ هُوَ بِنُوبَةِ الْحِرَاسَةِ الْأُولَى .

بَدَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ صَامِتَةً صَمْتُ الْقُبُورِ . وَكُنْتُ أَنَا وَالَّذِينَ نَتَنَاقَبُ الْحِرَاسَةَ كُلُّ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ . وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي جَلَسْنَا ، نَحْنُ الْإِثْنَيْنِ ، نَتَنَاوَلُ طَعَامَ الْفُطُورِ وَقَدْ غَلَبَنَا الْإِنْشِرَاحُ . فَإِنْ سَيَّطَرْنَا عَلَى الْعُنْبَرِ الْخَلْفِيِّ تَعْنِي أَنَّا نُسَيِّطِرُ عَلَى أَحْسَنِ الْمَأْكَلِ وَأَفْضَلِ سِلَاحٍ فَوْقَ مَتْنِ السَّقِينَةِ .

وَفِي أَثْنَاءِ وَجَبَةِ الصَّبَاحِ تِلْكَ أَكَّدَ أَلَنَ صَدَاقَتَنَا بِأَنْ قَدَّمَ لِي زِرًّا مِنْ أَزْرَارِ مِعْطَفِهِ الْفِضِّيَّةِ . وَقَالَ : « احْتَفِظْ بِهِ تَذْكَارًا لِأَحْدَاثِ اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ . إِذَا أَرَيْتَ هَذَا الزَّرَّ فِي أَيْ مَكَانٍ فَسَيَمُدُّ لَكَ أَصْدِقَاءُ أَلَنَ بَرَكَ يَدَ الْعَوْنِ . »

كَانَ فِي زَهْوَةٍ غُرُورِهِ تِلْكَ بَادِيَ الْجِدِّ وَالْوَقَارِ ، وَقَدْ بَدَلْتُ جَهْدًا شَاقًّا كَيْ لَا أَنْفَجِرَ
صَاحِكًا . وَتَدَبَّرْتُ أَمْرَ شُكْرِهِ بِوَقَارٍ مُمَازِلٍ .

أَخِيرًا جَاءَ الْقُبْطَانُ يَعْزِضُ التَّفَاوُضَ . كَانَ وَجْهُهُ شَاحِبًا مُتَعَبًا ، وَكَانَ يَرْفَعُ إِحْدَى
ذِرَاعَيْهِ بِحِمَالَةٍ مُعَلَّقَةٍ بِعُنُقِهِ . وَوَافَقَ بَعْدَ حَدِيثٍ قَصِيرٍ أَنْ يُتَرَكْنَا ، أَنَا وَالْآنَ ، إِلَى الشَّاطِئِ
دُونَ مُضَابِقَاتٍ أُخْرَى .

وَبَيْنَمَا كُنَّا ، أَنَا وَالْآنَ ، نَنْتَظِرُ وَصُولَ السَّفِينَةِ إِلَى الشَّاطِئِ ، رُحْنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ أَنْفُسِنَا .
اسْتَمَعْتُ إِلَى حِكَايَتِي بِتَعَاطُفٍ إِلَى أَنْ ذَكَرْتُ اسْمَ صَدِيقِي السَّيِّدِ كَامِيلٍ . عِنْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُهُ
يَتَفَنِّضُ بِعُنْفٍ ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنَّ بَيْنَ آلِ سِتِيوَارْتِ وَآلِ كَامِيلٍ عَدَاوَةٌ مَرِيرَةٌ وَنَزَاعَاتٍ دَمَوِيَّةٌ
مُتَوَاصِلَةٌ .

وَكَانَتْ حِكَايَةُ الْآنَ أَشَدَّ إِثَارَةً حَتَّى مِنْ حِكَايَتِي نَفْسِهَا . فَقَدْ بَدَأَ حَيَاتُهُ ضَاطِبًا فِي
الْجَيْشِ الْإِنْكَلِيزِيِّ . ثُمَّ فَرَّ مِنْهُ لِيَلْتَحِقَ بِالْإِسْكُوتْلَنْدِيِّينَ الْمُطَالِبِينَ بِاسْتِعَادَةِ عَرْشِ آلِ
سِتِيوَارْتِ . وَكَانَ أَنْ تَمَكَّنَ الْجَيْشُ الْإِنْكَلِيزِيُّ النُّظَامِيَّ الْمُدْرَبُ ، التَّابِعُ لِلْمَلِكِ جُورْجِ
الْأَوَّلِ ، فِي مَعْرَكَةِ كَالُودِنِ الشَّهِيرَةِ ، مِنْ سَحْقِ الْجَيْشِ الْإِسْكُوتْلَنْدِيِّ غَيْرِ الْمُتِمَاسِكِ .
وَسَأَلْتُ الْآنَ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي اسْكُوتْلَنْدَا بَعْدَ تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ ، وَقَدْ بَاتَ
خَارِجًا عَلَى الْقَانُونِ .

قَالَ مُوَضَّحًا : « أَقُومُ بِرِحَالَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ بَيْنَ اسْكُوتْلَنْدَا وَفَرَنْسَا فِي خِدْمَةِ قَائِدِي أَرْدُشِيل .
فَالْمُزَارِعُونَ يَدْفَعُونَ ضَرِيَّةً لِلْمَلِكِ جُورْجِ ، وَيَدْفَعُونَ لِآلِ سِتِيوَارْتِ ، إِخْلَاصًا مِنْهُمْ لَهُمْ ،
ضَرِيَّةً مُمَازِلَةً . وَمُهْمَّتِي أَنْ أَجْمَعَ هَذِهِ الضَّرِيَّةَ وَأَحْمِلَهَا إِلَى فَرَنْسَا حَيْثُ يَقِيمُ أَرْدُشِيل .

سَأَلْتُ : « وَهَلْ يَدْفَعُ الْمُزَارِعُونَ هَذِهِ الضَّرِيَّةَ الثَّانِيَةَ عَنْ طَيْبَةِ خَاطِرٍ ؟ »

أَجَابَ : « نَعَمْ . يَدْفَعُونَهَا عَنْ طَيْبَةِ خَاطِرٍ . وَيُنْظِمُ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةَ جِيمْسُ شَقِيقُ
أَرْدُشِيل . »

أَخْبَرْتُهُ عِنْدَئِذٍ أَنِّي ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنِّي مِنْ أَنْصَارِ الْمَلِكِ جُورْجِ ، مُقَدَّرٌ لِهَوْلَاءِ
الْقَوْمِ إِخْلَاصَهُمُ النَّبِيلِ .



ارْتَسَمَتْ اَيْتِسَامَةٌ عَلَى وَجْهِهِ وَقَالَ : « أَنْتَ شَابٌ نَبِيلٌ . » ثُمَّ تَحَوَّلَتْ اِلَيْتِسَامَةٌ إِلَى
عَبُوسٍ قَاتِمٍ ، وَأَضَافَ يَقُولُ : « وَلَيْسَ كَذَلِكَ آلُ كَامْبِل ! - لَيْسَ كَذَلِكَ الثَّغْلَبُ
الْأَحْمَرُ ! »

تَغْلَبَ فُضُولِي عَلَى رَغْبَتِي فِي تَهْدِئَةِ غَضَبِ مُحَدَّثِي ، فَقُلْتُ :
« مَنْ هُوَ الثَّغْلَبُ الْأَحْمَرُ ؟ »

فَأَجَابَ بِصَوْتٍ يَخْنُقُهُ الْحَقْدُ قَائِلًا : « مَنْ هُوَ ؟ عِنْدَمَا قَهَرَ الْجَيْشُ الاسْكُتْلَنْدِيُّ فِي
مَعْرَكَةِ كَالُودِنِ أُجْبِرَ أَرْدُشِيلُ عَلَى الْفِرَارِ إِلَى فَرَنْسَا . صَادَرُوا أَرْضِيَهُ وَجَرَّدُوا أَهْلَهُ مِنْ
السَّلَاحِ ، بَلْ مَنَعُوهُمْ مِنْ لُبْسِ شِعَارِ النَّبَالَةِ . لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقْوُوا عَلَى نَزْعِ الْإِخْلَاصِ مِنْ
قُلُوبِ أَبْنَاءِ الشَّعْبِ . وَهَذِهِ الضَّرِيَّةُ تُثَبِّتُ ذَلِكَ . »

« ثُمَّ سَعَى كُولِنُ كَامْبِلُ إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْ جِيْمَسِ شَقِيقِ أَرْدُشِيلِ . وَتَمَكَّنَ بِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ
مِنْ اكْتِشَافِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَسَرَّبُ بِهَا الضَّرِيَّةُ الثَّانِيَّةُ إِلَى خَارِجِ الْبِلَادِ ، وَأَسْرَ بِالْأَمْرِ إِلَى
سَيِّدِهِ ، الْمَلِكِ جُورْجِ . فَطُرِدَ أَنْصَارُ أَرْدُشِيلِ مِنْ مَزَارِعِهِمْ وَتَرَكُوا يَتَضَوَّرُونَ جُوعًا ،
وَاسْتَبْدِلَ بِهِمْ مَزَارِعُونَ آخَرُونَ مِنْ رِجَالِ كَامْبِلِ . »

« وَقَدْ لُقِّبَ كُولِنُ كَامْبِلُ ، لِحِيلَتِهِ الْخَسِيسَةِ تِلْكَ وَشَعْرِهِ الْأَحْمَرِ ، بِالثَّغْلَبِ الْأَحْمَرِ .
لَكِنَّهُ سَيَدْفَعُ قَرِيبًا ثَمَنَ شُرُورِهِ ، فَقَدْ أَقْسَمْتُ أَنْ الْأَحِقَّةَ وَاقْتُلَهُ ! »

مَا إِنَّ أَنْهَى الْآنَ كَلَامَهُ حَتَّى رَأَيْنَا الْقُبْطَانَ يُقْبِلُ نَحُونَا بِأَيْدِي الْقَلَقِ وَيَسْأَلُنَا أَنْ نُرَافِقَهُ
إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ.

وَبَدَأَ لَنَا أَنْ فِي دَعْوَتِهِ تِلْكَ فَخًا، لَكِنَّ لَهْفَتَهُ أَقْنَعَتْنَا بِمُرَافَقَتِهِ.

كَانَ الظَّلَامُ آنَكَ مُخِيماً وَالْجَوُّ عَاصِيفًا. وَكَانَتْ الرِّيحُ تَدْفَعُ السَّفِينَةَ صَوْبَ السَّاحِلِ
الصَّخْرِيِّ. وَقَدْ رَغِبَ الْقُبْطَانُ فِي الْإِسْتِعَانَةِ بِالْآنَ، عَلَيْهِ، وَهُوَ ابْنُ تِلْكَ الْبِلَادِ، يَقْدِرُ عَلَى
تَوْجِيهِ السَّفِينَةِ بِأَمَانٍ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ الصَّخْرِيَّةِ الْخَطِيرَةِ.

أَقْرَأَ الْآنَ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَارًا، لَكِنَّهُ وَعَدَ أَنْ يَبْدُلَ جِهَتَهُ. وَقَدْ تَمَكَّنَ بِالْفِعْلِ، بِمُسَاعَدَةِ
بَعْضِ الْبَحَّارَةِ، مِنْ تَجَنُّبِ السَّفِينَةِ مَوْقِعَيْنِ صَخْرِيَيْنِ كَبِيرَيْنِ.

ثُمَّ انْقَلَبَ الرِّيحُ فَجَاءَ فَارْتَدَّتِ السَّفِينَةُ وَاصْطَدَمَتْ بِبَعْضِ الصُّخُورِ الْمُجَاوِرَةِ،
مُحْدِثَةً ضَجِيجًا هَائِلًا، وَتَنَازَرَتْ بَعْضُ خَشَبِهَا فِي مَوْضِعِ الْإِصْطِدَامِ شَطَايَا. وَوَقَعْنَا كُلُّنَا
أَرْضًا.

وَسُرْعَانِ مَا تَمَالَكْتُ نَفْسِي فَوْقْتُ وَرَكَضْتُ صَوْبَ جَانِبِ السَّفِينَةِ. فَرَأَيْتُ، عَلَى
ضَوْءِ الْقَمَرِ، أَنَّنَا قَرِيبُونَ جِدًّا مِنَ الشَّاطِئِ، لَكِنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تُمَزِّقُ السَّفِينَةَ تَمْرِيْقًا.
وَسَمِعْنَا الْبَحَّارَةَ الْجَرَّحَى فِي الْعَنْبَرِ الْأَمَامِيِّ يَصِيحُونَ مُسْتَعِيثِينَ.

جَرَّ رَأْيُنَا وَأَحْدُ الْبَحَّارَةِ قَارِبَ التَّجَاةِ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ. ثُمَّ سَمِعْنَا فَجَاءَ صَوْتًا
يَصِيحُ قَائِلًا: «إِحْمِنَا يَا رَبُّ!»



فِي تِلْكَ الْمَحْظَةِ انْقَضَتْ عَلَيْنَا مَوْجَةٌ هَائِلَةٌ قَلَبَتِ السَّفِينَةَ. وَرَأَيْتُ نَفْسِي انْقَذِفَتْ فِي
الْبَحْرِ.

كِدْتُ أَغْرَقُ، وَابْتَلَعْتُ مَاءً كَثِيرًا. لَكِنِّي تَمَكَّنْتُ أَخِيرًا مِنْ رَفْعِ رَأْسِي فَوْقَ الْمَاءِ.
لَمْ أَكُنْ سَبَاحًا مَاهِرًا، وَوَجَدْتُ نَفْسِي مُنْشَعِلًا بِتَأْمِينِ قُدْرَتِي عَلَى التَّنَفُّسِ أَكْثَرَ مِنْ
اهْتِمَامِي بِالْوُجْهِةِ الَّتِي أَتَحَرَّكَ فِيهَا.

عَلَى أَيْ حَالٍ، فَقَدْ رَمَى الْقَدَرُ بَيْنَ يَدَيَّ جُزْءًا مِنْ سَارِيَةِ السَّفِينَةِ تَعَلَّقْتُ بِهِ، وَحَمَلَنِي
إِلَى الْمِيَاوِ الْمَادِنَةِ، حَيْثُ شَكَرْتُ رَبِّي عَلَى بَقَائِي حَيًّا.

بَعْدَ سَاعَةٍ مِنَ التَّجْدِيفِ وَصَلْتُ خَلِيجًا رَمَلِيًّا مُحَاطًا بِتِلَالٍ مُنْخَفِضَةٍ. تَرَكْتُ هُنَا
الْخَشَبَةَ وَخَوَضْتُ الْمَاءَ إِلَى الشَّاطِئِ وَوَقَعْتُ عَلَى رِمَالِهِ مِنْهَكَأَ بَائِسًا، وَنِمْتُ نَوْمًا أَشَبَّهُ
بِالْإِغْمَاءِ.

عِنْدَمَا أَفَقْتُ التَّفْتُ حَوْلِي أَبْحَثُ عَنْ نَاجِينَ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا. فَسَشِيتُ وَحِيدًا بَائِسًا
صَوْبَ الشَّرْقِ عَلَى أَحَدِ أَحْدَا مِنَ النَّاسِ. وَسُرْعَانِ مَا اعْتَزَّصَنِي نَهْرٌ يَبْلُغُ عَرْضُهُ نِصْفَ مِيلٍ.



تَحَوَّلْتُ عَنْ اتِّجَاهِي وَتَبِعْتُ مَجْرَى النَّهْرِ أَبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةٍ أُعْبِرُهُ بِهَا.
وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ مِنَ الْمَشْيِ وَجَدْتُ نَفْسِي فِي الْمَكَانِ عَيْنِهِ الَّذِي خَوَّضْتُ الشَّاطِئُ فِيهِ.
لَقَدْ كُنْتُ فِي جَزِيرَةٍ !

أَصَابَنِي ، عِنْدَمَا وَعَيْتُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ ، هَلَعٌ وَإِحْسَاسٌ مَرِيرٌ بِالْوَحْدَةِ . وَزَادَ فِي بُرْسِي
أَنِّي رَأَيْتُ دُخَانًا يَتَصَاعَدُ مِنْ مِدْحَنَةِ بَيْتٍ قَائِمٍ عَلَى الْبَرِّ الْقَرِيبِ مُقَابِلَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي
عَلَّقْتُ فِيهَا .

كُنْتُ أَتَصَوَّرُ جَوْعًا فَتَنَّاوَلْتُ مَحَارًا نَيْثًا ، فَشَعَرْتُ بِمَعِدَّتِي تَنْقَلِبُ وَتَقْيَأُ مِرَارًا .
بَكَيْتُ قَهْرًا وَقَدْ رَأَيْتُ نِصْفَ مِيلٍ مِنَ الْبَحْرِ يَسُدُّ أَمَامِي طَرِيقَ الْحَيَاةِ . وَأَخِيرًا ،
تَمَدَّدْتُ عَلَى الْأَرْضِ وَحَاوَلْتُ أَنْ أُنَامَ .

لَمْ أَعْرِفْ طَوَالَ رِحْلَتِي كُلِّهَا تَجْرِبَةً أَشَدَّ مَرَارَةً عَلَى النَّفْسِ مِنْ نِلْكَ الَّتِي عَرَفْتُهَا فِي
صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي . فَقَدْ رَأَيْتُ قَارِبَ صَيْدٍ صَغِيرًا قَرِيبًا مِنْ شَاطِئِ الْجَزِيرَةِ ، وَأَخَذْتُ
أَصِيحُ طَالِبًا الْعَوْنَ . وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْبَحَّارَةُ صِيَاحِي التَّفَتَوْا إِلَيَّ وَضَحِكُوا وَخَاطَبُونِي بِلُغَةٍ
سُكَانِ الْمُرْتَفَعَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ ، فَلَمْ أَفْهَمْ شَيْئًا .

لَكِنَّ الْقَارِبَ لَمْ يَتَوَقَّفَ . وَلَمْ أَصَدِّقْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْقَسَاوَةِ بِحَيْثُ يَتْرُكُ إِنْسَانًا فِي
جَزِيرَةٍ مَهْجُورَةٍ . فَجَرَيْتُ عَلَى الشَّاطِئِ أَصِيحُ صِيَاحًا مَجْنُونًا . غَيْرَ أَنَّ رَدَّ بَحَّارَةِ الْقَارِبِ



على صياحي كان إغراقاً في الضحك ، فجلستُ على الأرض أبكي كما يبكي طفلٌ غاضبٌ .

عشتُ أياماً أربعةً على المحارِ النيءِ الكريه وثمارِ العليقِ البري . ثم مرَّ قاربٌ صيدٍ آخر . وعندما ناديتُ استدأرَ صوبي وسمعتُ أحدَ البحارةِ يصيحُ مخاطباً إياي بلُغةِ سُكَّانِ المرتفعاتِ . وعلى الرغمِ أني لم أكنُ أتكلِّمُ تلكَ اللُغةَ فقد تَلَفَقْتُ كلمةَ «مد» .

وفجأةً انكشفَ أمامي السببُ الذي حملَ بحارةَ قاربِ الصيدِ الأولِ على الضحكِ . فإنه حينَ ينحسرُ المدُّ تنخفضُ مياهُ الممرِّ المائي الذي ظننتُهُ نهراً ، وتصبحُ ضحلةً يسهُلُ عبورها إلى البرِّ الرئيسي .

وبينما رُحْتُ أخوضُ المياهَ الضحلةَ تناوبتني مشاعرُ الإرتياحِ لِخلاصي والثورةِ على نفسي لغبائي .

وهكذا وجدتُ نفسي على شاطئِ رأسِملِ الأجردِ ، أتوجَّهُ صوبَ المَزلِ الذي رأيتُ الدُخانَ يتصاعدُ منه وأنا فوقَ الجزيرةِ . وصلتُ في نحوِ السادسةِ مِنْ ذَلِكَ المَساءِ كوخاً مُنخفضاً خشنَ المَظهرِ .

ورأيتُ عجوزاً يجلسُ خارجَ الكوخِ يُدخِّنُ غليوناً . استفسرتُ مِنَ العَجوزِ عَنْ مَصرِ بحارةِ السفينةِ المُحطِّمةِ ، فأعلمني أَنَّ عَددًا مِنْهُم قَدْ وَصَلَ الشاطئَ سالِماً وأقامَ في كوخِهِ بَعضَ الوقتِ .

سألتُ : «أكانَ بينَ الناجينَ رَجُلٌ ذو ثيابٍ مُميَّزةٍ ؟»
أجابَ أَنَّهُ كانَ بينَهُم رَجُلٌ لا يلبسُ ثيابَ بحارٍ . ثُمَّ رَأَيْتُهُ يَهْتِفُ فجأةً : «لا بُدَّ أَنَّكَ الفتى الذي يَحْمِلُ الزَّرَّ الفِضِّيَّ .»

أجبتُ وأنا أريهِ الزَّرَّ : «أنا هُوَ .»

قالَ : «إِنَّ لَكَ عِنْدِي رِسالَةً . عَلَيْكَ أَنْ تَلْحَقَ صَدِيقَكَ إِلَى مِنطَقَتِهِ عِبرَ توردوسي .»
ثُمَّ أَدْخَلَنِي كوخَهُ وعَرَّفَنِي إِلَى زَوْجَتِهِ . واستمعَ الزوجانِ إلى مُغامراتي ثُمَّ سَمَحَا لي أَنْ أَقِمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي كوخِهِمَا ، وَقَدَّما لي طَعاماً .

بَدَأْتُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي رِحْلَتِي . كَانَتِ الْمَسِيرَةُ إِلَى تُوْرُوسِي طَوِيلَةً . وَكَانَ الرَّيْفُ
فَقِيرًا يُعَشِّشُ فِي طُرُقَاتِهِ الْمُتَسَوِّلُونَ وَالشُّطَّارُ وَاللُّصُوصُ . وَقَدْ حَاوَلَ الدَّلِيلُ الَّذِي اسْتَأْجَرْتُهُ
لِيُذِلَّنِي عَلَى الطَّرِيقِ أَنْ يَسْلُبَنِي مَالِي . لِذَا فَإِنِّي شَعَرْتُ ، عِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى تُوْرُوسِي ،
بَارْتِيَا حٍ عَظِيمٍ .

وَتَلَقَّيْتُ تَعْلِيمَانِي هُنَاكَ مِنْ رَبَّانٍ الْمُعَدِّيَةِ الَّتِي تَصِلُ بَيْنَ تُوْرُوسِي وَكِئِلُوتْشَالِين .
لَمْ أُحْسِنِ التَّصَرُّفَ أَوَّلَ الْأَمْرِ مَعَ رَبَّانٍ الْمُعَدِّيَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ عَلَيْهِ مَالًا لِقَاءِ مَعْلُومَاتٍ
تُوصِلُنِي إِلَى أَلَنْ . ثُمَّ كَانَ حَظِّي مَعَهُ ، حِينَ أَرَيْتُهُ الزَّرَّ الْفِضِّيَّ ، خَيْرًا مِمَّا سَبَقَ ، فَدَلَّنِي
عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي أَسْلُكُهَا .

شَكَرْتُهُ فَقَالَ لِي : « لِأَنَّكَ الْفَتَى الَّذِي بِحِمْلِ الزَّرِّ الْفِضِّيِّ عَلَيَّ أَنْ أُسَاعِدَكَ . لَكِنْ
حَادِرٌ بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ تَرْفَعَ صَوْتُكَ بِالسُّؤَالِ عَنْ أَلَنْ بَرِّكَ ، أَوْ أَنْ تَعْرِضَ نُقُودَكَ الْقَدِرَةَ عَلَى
سَيِّدِ اسْكُتْلَنْدِي . »

شَعَرْتُ بِالْخَجَلِ مِنْ نَفْسِي وَاعْتَذَرْتُ .



قَضَيْتُ لَيْلَةً فِي نَزْلِ فِي كِنَلُوتْشَالِنْ . وَبَدَأْتُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي رِحْلَتِي إِلَى آيِنْ ،
مِنْطَقَةِ الْآن . وَكَانَتْ الرُّحْلَةُ تَسْتَغْرِقُ يَوْمَيْنِ وَسَطَ أَرْضٍ وَعَرَّةٍ وَخَطِرَةٍ .

وَقَدْ سَرَّنِي ، لِذَلِكَ ، أَنِّي تَعَرَّفْتُ ، فِي الْجُزْءِ التَّالِي مِنْ أَسْفَارِي ، إِلَى مُبَشِّرِ جَوَالٍ
يُدْعَى السَّيِّدَ هَنْدِرْلَانْد . وَقَدْ وَافَقْتُ طِبَاعُ ذَلِكَ الْمُبَشِّرِ مُيُولِي ، وَقَبِلْتُ دَعْوَتَهُ لِلْإِقَامَةِ عِنْدَهُ
تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

لَمْ أَكُنْ رَاغِبًا ، عَلَى أَيِّ حَالٍ ، فِي التَّعَرُّفِ إِلَى جُونِ كَلِيمُور ، الَّذِي وَجَّهَنِي الْآن إِلَى
أَنْ أَقِيمَ لَيْلَتِي عِنْدَهُ . فَإِنْ تَجَرَّبَتِي مَعَ سُكَّانِ الْمُرْتَفَعَاتِ الْجُفَاءِ جَعَلْتَنِي أَبْدِي مِنْهُمْ جَانِبَ
الْحَذَرِ .

وَفَرَ عَلَيَّ السَّيِّدُ هَنْدِرْلَانْد ، فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، مَسِيرَةَ نَهَارٍ كَامِلٍ ، إِذْ نَقَلَنِي فِي زَوْرَقٍ
عَبْرَ أَحَدِ الْخُلُجَانِ إِلَى مِنْطَقَةِ آيِنْ .

لَا حِظُّتُ ، وَنَحْنُ نَعْبُرُ الْخَلِيجَ ، وَمَضَاتِ حَمَرَاءِ تَنْبُعُ مِنْ الْأَرْضِ الْمُحَاضِيَةِ
لِلشَّاطِئِ . سَأَلْتُ عَنْ تِلْكَ الْوَمَضَاتِ فَقِيلَ لِي إِنَّهَا ، فِي الْغَالِبِ ، صَادِرَةٌ عَنْ جُنُودِ الْمَلِكِ
جُورْجِ الدِّينِ جَاؤُوا يَطْرُدُونَ أَنْصَارَ آلِ سَتِيوَارْتِ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ مِنْ مَزَارِعِهِمْ .

أَنْزَلَنِي الْقَارِبُ فِي مَكَانٍ مِنَ الشَّاطِئِ قَرِيبٍ مِنْ تَلَّةٍ حُرْجِيَّةٍ . وَهُنَاكَ جَلَسْتُ أَشْرِيحُ
وَأَتَنَاوَلُ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ وَأُفَكِّرُ فِي أَمْرِي .



وَقَدْ قَطَعَ عَلَيَّ تَفْكَيرِي أَصْوَاتُ خَيَالَةٍ تَرَدَّدَ صَدَاها مِنْ حَوْلِي . ثُمَّ رَأَيْتُ مَوْكِبَ
الْخَيَالَةِ يَقْتَرِبُ مِنِّي ؛ كَانَ الْأَوَّلُ رَجُلًا ضَخْمًا أَحْمَرَ الشَّعْرِ ، وَكَانَ الثَّانِي ، كَمَا يُوحِي
مَظْهَرُهُ ، مُحَامِيًا ، وَالثَّالِثُ خَادِمًا ، وَالرَّابِعُ ضَابِطًا .

إِعْتَرَضْتُ الْمَوْكِبَ وَحَيَّيْتُ قَائِدَهُ ، وَسَأَلْتُ عَنْ الطَّرِيقِ إِلَى أَوْتَشَارُنَ .

نَظَرَ الرَّجُلُ إِلَيَّ نِظْرَةً ثَاقِبَةً وَقَالَ : « مَنْ تَقْصِدُ هُنَاكَ ؟ »

أَجَبْتُ : « أَقْصِدُ جِيْمَسَ غَلِنَ . »

رَأَيْتُ التَّجَهُّمَ عَلَى وَجْهِ الرَّجُلِ فَاسْرَعْتُ أَضْيَفُ قَائِلًا : « أَنَا مِنْ رَعَايَا الْمَلِكِ جُورِجِ
الْمُخْلِصِينَ . »

أَجَابَ ، دُونَ أَنْ يَبْدُوَ مُطْمَئِنًّا إِلَى كَلَامِي : « عَظِيمٌ ، وَلَكِنْ لِمَ تَقْصِدُ أَخَا أَرْدَشِيلَ
غَيْرَ الشَّقِيقِ ؟ وَلَتَعْلَمَ أَنِّي صَاحِبُ نُفُوذٍ هُنَا . إِنْ قُوَاتِ الْمَلِكِ تَحْتَ إِمْرَتِي . »

أَدْرَكْتُ عِنْدَئِذٍ أَنِّي أَوَاجُهُ كَوَلْنِ كَامْبِلَ ، الثَّغْلَبَ الْأَحْمَرَ - عَدُوُّ آلِنِ الْأَلَدِّ .

سَرَعْتُ فِي الْجَوَابِ ، لَكِنْ مَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى انْطَلَقَتْ رِصَاصَةٌ مِنْ أَعْلَى
التَّلَّةِ ، وَهَوَى كَامْبِلٌ مِنْ عَلَى حِصَانِهِ وَهُوَ يَبِينُ قَائِلًا : « أَصِبتُ . »

قَفَزَ الْمُحَامِي عَنْ حِصَانِهِ ، وَرَفَعَ الرَّجُلُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ ، فَوَجَدَهُ دُونَ حَرَاكِ . مَاتَ
الثَّغْلَبُ الْأَحْمَرُ !

شَلَّنِي الْمَشْهَدُ الْمُرَوِّعُ ، وَوَقَفْتُ جَامِدًا كَالْحَطَبَةِ . ثُمَّ لَمَحْتُ بِطَرْفِ عَيْنِي شَخْصًا
مُتَشِحًا بِالسَّوَادِ يَجْرِي فَوْقَ التَّلَّةِ هَارِبًا . انْتَفَتْ وَصِحْتُ : « ذَاكَ هُوَ الْقَاتِلُ ! »

جَرَيْتُ صَوْبَ الْقَاتِلِ أَطَارِدُهُ ، فَسَمِعْتُ الْمُحَامِيَ يَصِيحُ : « عَشْرَةُ جُنَيْهَاتٍ لِمَنْ
يُمْسِكُ ذَاكَ الْفَتَى . إِنَّهُ شَرِيكٌ فِي الْجُرْمِ أُرْسِلَ إِلَى هُنَا لِإِعْتِرَاضِنَا وَإِقْفَانِنَا . »

سَمِعْتُ ذَلِكَ فَدَبَّ فِيَّ الْهَلَعُ . كُنْتُ الْمُطَارِدَ فَصِرْتُ الطَّرِيدَ ! انْتَفَتْ وَرَأَيْتُ فَرَأَيْتُ
ذَوِي الْمَعَاطِفِ الْحَمْرَاءِ مِنْ عَسْكَرِ السُّلْطَةِ فِي أَعْقَابِي .





وَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي بَدَأَ لِي فِيهَا أَنَّ مُغَامِرَاتِي قَدْ وَصَلَتْ إِلَى خَاتِمَةِ مُحْزِنَةٍ ، سَمِعْتُ مِنْ
عَلَى يَمِينِي صَوْتًا خَفِيفًا آمِرًا يَقُولُ :

« تَعَالَ هُنَا بَيْنَ الْأَشْجَارِ . »

كَانَ الْجُنُودُ يُوشِكُونَ أَنْ يُطَبِّقُوا عَلَيَّ ، فَأَطَعْتُ الصَّوْتَ الْأَمْرَ دُونَ تَرَدُّدٍ . وَكَانَتْ
طَلَقَاتُ الْمُطَارِدِينَ قَدْ أَخَذَتْ تَطَايُرَ حَوْلِِي وَبِتَرَدُّدٍ صَدَاهَا فِي أَرْجَاءِ الْغَابَةِ .

كَانَ ذَلِكَ أَلَّنَ !

قَالَ لِي : « تَعَالَ ، اتَّبِعْنِي ! » ثُمَّ انْدَفَعَ فِي سُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ . رَكَضْتُ مُجَارِبًا سُرْعَتَهُ
أَمِيلًا ، فَقَدْ أَوْرَثَنِي الْخَوْفُ أَقْدَامًا مُجَنِّحَةً . أَخْبِرًا ارْتَمَى أَلَّنَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَسَقَطْتُ إِلَى
جَانِبِهِ وَقَدْ كَادَتْ أَنْفَاسِي تَقْطَعُ .

تَمَالَكَ أَلَنْ نَفْسَهُ ، بَعْدَ تِلْكَ الْمُطَارَدَةِ ، قَبْلِي . وَقَفَ وَالتَفَتَ حَوْلَهُ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ عَادَ وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِي .

قَالَ : « كَانَتْ مُطَارَدَةٌ حَامِيَةً ، يَا رُوبِنْ . »

لَمْ أَقُلْ شَيْئًا ، وَدَفَنْتُ وَجْهِي بَيْنَ الْأَعْشَابِ . كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُ نَبِيلاً مِنْ نُبَلَاءِ الْبِلَادِ يَمُوتُ مَوْتًا فُجَائِيًّا . لَمْ أَكُنْ قَدْ صَحَوْتُ مِنَ الصَّدْمَةِ بَعْدُ ، وَكَانَتْ الْحَسْرَةُ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ لَا تَزَالُ طَاعِيَةً عَلَى قَلْبِي .

رَأَيْتُهُ يُقْتَلُ أَمَامَ عَيْنَيَّ . وَكَانَ أَلَنْ قَدْ أَقْسَمَ أَنْ يَقْتُلَهُ ، وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَسْرَحِ الْجَرِيمَةِ . وَسَوَاءٌ عِنْدِي أَكَانَ قَتَلَهُ بِيَدِهِ أَمْ أَمَرَ أَحَدًا بِقَتْلِهِ ، فَالْجَرِيمَةُ هِيَ هِيَ . صَدِيقِي الْوَحِيدُ فِي هَذِهِ الْمُرْتَفَعَاتِ الْخَافِيَةِ قَاتِلٌ . وَلَمْ أَقُومْ عَلَى رَفْعِ رَأْسِي وَمُوَاجَهَتِهِ .

سَأَلَنِي أَلَنْ : « أَلَا تَزَالُ مُتَعَبًا ؟ »

أَجَبْتُ ، وَوَجْهِي لَا يَزَالُ مُغْطًى : « لَا ، لَسْتُ مُتَعَبًا . لَكِنْ ، عَلَيْنَا ، نَحْنُ الْإِثْنَيْنِ ، أَنْ نَفْتَرِقَ . أَحَبُّتُكَ يَا أَلَنْ كَثِيرًا ، لَكِنْ طَرِيقُكَ غَيْرُ طَرِيقِي . »

سَأَلَنِي ، وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ نِظْرَةٌ جَادَّةٌ : « وَمَا الدَّاعِي ؟ »

أَجَبْتُ بِأَنْفِعَالٍ : « أَلَا نَعْلَمُ ؟ إِنْ فِي الطَّرِيقِ رَجُلًا مَقْتُولًا أَقْسَمْتَ أَنْتَ عَلَى قَتْلِهِ . » رَدَّ عَلَيَّ أَلَنْ بِنَبْرَةٍ غَاضِبَةٍ قَائِلًا : « أَتَظُنُّ أَنِّي ، إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ ، أَقُومُ بِذَلِكَ فِي مِثْقَلِي ، فَأَجْلُبُ عَلَى شَعْبِي الْمَتَاعِبَ ؟ وَهَلْ آتَى لِقَتْلِهِ وَلَيْسَ مَعِيَ إِلَّا قَصَبَةٌ صِيدٍ ؟ »

نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ أَنَّ مَا كَانَ يُمَسِّكُهُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى لَمْ يَكُنْ فِعْلًا إِلَّا قَصَبَةٌ صِيدٍ . قُلْتُ مُعْتَذِرًا : « إِنَّكَ فِعْلًا غَيْرُ مُسَلِّحٍ . »

أَضَافَ أَلَنْ يَقُولُ : « وَالْآنَ أَقْسِمُ لَكَ بِشَرَفِي أَنَّ لَا يَدَ لِي فِي قَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ . »

صَحْتُ ، وَقَدْ انْزَاحَ عَنْ قَلْبِي عِبءٌ ثَقِيلٌ : « حَمْدًا لِلَّهِ ! »

مَدَدْتُ يَدِي أَصَافِحُهُ مُعْتَذِرًا عَنْ تَهْمِي الظَّالِمَةِ . وَتَرَدَّدَ أَلَنْ فِي مُصَافِحَتِي ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى يَدِي بِكِلْتَا يَدَيْهِ ، وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ مِثْلَ هَذِهِ الْإِهَانَةِ إِلَّا لِي .

إِنطَلَقْنَا مَعًا إِلَى مَتَرِلِ جِيْمَسِ غَلِنَ . وَوَجَدْنَا أَنَّ نَبَأَ اغْتِيَالِ الثُّغَلْبِ الْأَحْمَرِ قَدْ بَعَثَ
الْهَلَعَ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ كُلِّهِمْ .

رَحَّبَ بِنَا جِيْمَسُ تَرْحِيًّا عَطُوفًا ، لَكِنَّهُ بَدَأَ مُتَعَبًا شَدِيدَ الْقَلَقِ . وَكَانَ الْخَدَمُ مِنْ حَوْلِهِ
يُخْرِجُونَ أَسْلِحَةً كَانَتْ مُخَبَّأَةً فِي الْمَتَرِلِ وَيَدْفِنُونَهَا فِي أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ عَنِ الشُّبُهَاتِ .

تَحَدَّثَ جِيْمَسُ إِلَى آلِنَ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ ، وَكَانَ طَوَالَ الْوَقْتِ يُكْثِرُ مِنَ النَّظَرِ بِقَلْبٍ إِلَى
حَافَةِ التَّلَّةِ . كَانَ يَتَوَقَّعُ وَصُولَ ذَوِي الْمَعَاطِفِ الْحَمْرَاءِ مِنْ جُنُودِ الْمَلِكِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى .

جَاءَنَا خَادِمٌ بِزَادٍ وَسِلَاحٍ وَذَخِيرَةٍ وَبَعْضِ الْمَالِ . قَالَ جِيْمَسُ :

«سَأُرْسِلُ لَكَ ، إِذَا قَدِرْتُ ، مَبْلَغًا آخَرَ مِنَ الْمَالِ . لَكِنْ عَلَيْكَ الْآنَ مُغَادَرَةُ الْمَكَانِ
حَالًا . سَيَتَّهِمُونَكَ بِقَتْلِ كَامِبِلَ ، وَسَيَقْلِبُونَ الْأَرْضَ بَحْثًا عَنْكَ . وَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ مُتَّهِمًا ،
فَسَتَجِبُهُ نَحْوِي شُكُوكُهُمْ ، إِذْ إِنِّي قَرِيبٌ لَكَ ، وَبِعَرَفُونَ أَنَّكَ لَجَأْتَ إِلَيَّ وَنَزَلْتَ عِنْدِي فِي
مُنَاسِبَةٍ سَابِقَةٍ .»

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ : «إِنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَنْكَ . يَظُنُّونَ أَنَّكَ شَرِيكَ فِي الْقَتْلِ ، وَإِذَا أُمْسَكَوكَ
فَسَيَعَذِّبُونَكَ لِنُبُوحِ بِاسْمِ الْقَاتِلِ .»

كَانَ وَجْهُهُ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ شَاحِبًا ، وَكَانَ يُكْثِرُ مِنْ قَضْمِ أَظْفَارِهِ قَلَقًا .

نَظَرْنَا ، أَنَا وَآلِنَ ، وَاحِدُنَا فِي وَجْهِ الْآخَرِ . لَقَدْ وَجَدْنَا نَفْسَيْنَا مَطْلُوبَيْنِ بِجَرِيْمَةٍ قَتْلٍ لَمْ
نُزَكِّبْهَا . كَانَ مِنَ الْعَبَثِ مُحَاوَلَةُ إِثْبَاتِ بَرَاءَتِنَا أَمَامَ السُّلْطَةِ . لَئِذَا وَدَّعْنَا جِيْمَسَ وَدَاعًا
سَرِيعًا وَانْطَلَقْنَا فِي بَهِيمِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ غَيْرِ الْمُقْمِرَةِ مُطْمَئِنِّينَ إِلَى أَنَّ الظَّلَامَ الدَّامِسَ يَسْتُرُ
تَحَرُّكَاتِنَا .

كَانَتْ رِحْلَةٌ قَاسِيَةً وَسَرِيعَةً . كُنَّا نَرْكُضُ حَتَّى نَعْجَزَ عَنْ مُوَاصَلَةِ الرِّكْضِ ، فَسَعَى
هَرَوَلَةً دَقَائِقَ نَلْتَقِطُ فِيهَا أَنْفَاسَنَا ، لِنَعُودَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مُوَاصَلَةِ الرِّكْضِ .

وَصَلْنَا عِنْدَ الصَّبَاحِ إِلَى وَادٍ تَغْطِيهِ الصُّخُورُ الضَّخْمَةُ ، وَيَجْرِي فِيهِ نَهْرٌ جَيَّاشٌ .

قَالَ لِي آلِنَ : «تَعَالِ ، عَلَيْنَا أَنْ نَعْبُرَ النَّهْرَ . فَلَيْسَ فِي هَذَا الْجَانِبِ مَا يَسْتُرُنَا . إِنَّا هُنَا

مَكْشُوفَانِ .»

رَكَضَ صَوْبَ النَّهْرِ وَقَفَزَ إِلَى صَخْرَةٍ فِي وَسْطِهِ. قَفَزْتُ مِثْلَهُ، وَكِدْتُ أَزَلُّ عَنْ
الصَّخْرَةِ لَوْ لَمْ يُمْسِكْ بِي.

وَقَفْنَا مَعًا عَلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ الصَّغِيرَةِ الْمُبَلَّلَةِ وَمِنْ حَوْلِنَا الْمَاءُ الْجَارِفُ. وَكَانَ لَا يَزَالُ
عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِقَفْزَةٍ أَوْسَعَ مِنْ سَابِقَتِهَا.

نَظَرْتُ إِلَى حَافَةِ النَّهْرِ الْأُخْرَى فَتَأَكَّدْتُ لِي أَنِّي لَنْ أَتِمَّكَنَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا، فَغَطَّيْتُ
عَيْنَيَّ بِيَدَيَّ. هَزَنِي أَلَنْ هَزًّا عَنِيفًا وَصَرَخَ بِكَلِمَاتٍ لَمْ أَسْمَعْ مِنْهَا وَسَطَ هَدِيرِ الْمِيَاهِ كَلِمَةً
وَاحِدَةً.

هَزَنِي مَرَّةً أُخْرَى وَقَرَّبَ شَفَتَيْهِ مِنْ أُذُنِي وَصَاحَ: «تَعَلَّقْ أَوْ اغْرَقْ!» ثُمَّ قَفَزَ قَفْزَةً
هَائِلَةً أَوْصَلَتْهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ النَّهْرِ.

أَدْرَكْتُ أَنِّي إِذَا لَمْ أَقْفِزْ الْآنَ فَلَنْ أَقْفِزَ أَبَدًا. تَحَفَّزْتُ، وَرَمَيْتُ بِجَسَدِي كُلَّهُ فِي
قَفْزَةٍ يَائِسَةٍ، وَتِمَكَّنْتُ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالطَّرَفِ الْآخَرِ. لَكِنَّ جَسَدِي كَانَ فِي الْمَاءِ، وَلَمْ أَكُنْ
لِأَقْدِرَ عَلَى مُقَاوَمَةِ تَيَّارِ الْمَاءِ الْجَارِفِ طَوِيلًا، فَأَسْرَعَ أَلَنْ يُمْسِكْ بِي مِنْ شَعْرِي وَيَشُدُّنِي إِلَى
بَرِّ الْأَمَانِ.





رَأَيْنَا فِي مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنَّا بُقْعَةً ظَلِيلَةً ، فَاتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ نَخَاطِرَ بِالتُّرُولِ مِنْ فَوْقِ
الصَّخْرَةِ . فَلِلْمَوْتِ طَعْمٌ وَاحِدٌ ، بِضَرْبَةِ شَمْسٍ كَانَ أَمْ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ .
تَمَكَّنَّا مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْبُقْعَةِ الظَّلِيلَةِ سَالِمِينَ . فَمَكَّنَّا هُنَاكَ إِلَى أَنْ اسْتَعَدَدْنَا قُوَانَا ، ثُمَّ
أَمَرَ الْآنَ بِمُتَابَعَةِ الْمَسِيرَةِ .

رُحْنَا نَتَسَلَّلُ مِنْ صَخْرَةٍ إِلَى صَخْرَةٍ ، نَارَةٌ نَحْنِي وَتَارَةً نَرْحَفُ . كَانَ تَقْدَمُنَا بَطِينًا
وَشَاقًّا ، وَمَا إِنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ حَتَّى كُنَّا مُنْهَكِينَ يَكَادُ يَقْتُلُنَا الْعَطَشُ .

أَخِيرًا وَصَلْنَا إِلَى جَدُولٍ جَبَلِيٍّ مُتَالِقٍ عَمِيقٍ ، فَالْقَيْنَا هُمُومَنَا جَانِبًا وَغَطَّسْنَا رَأْسَيْنَا فِي
مِيَاهِهِ الْبَارِدَةِ الْمُنْعِشَةِ .

عِنْدَمَا أَطْفَأْنَا عَطَشَنَا كَانَ اللَّيْلُ قَدْ هَبَطَ ، فَاسْتَأْنَفْنَا مَسِيرَتَنَا مُخَلِّفِينَ الْعَسْكَرَ وَرَاءَنَا .
طَلَعَ الْقَمَرُ عَلَيْنَا فَأَضَاءَ أَمَامَنَا جِبَالًا وَمَضِيقًا بَحْرِيًّا . وَهُنَاكَ عَرَفَ الْآنَ طَرِيقَهُ فَانْشَرَحَ
صَدْرُهُ وَرَاحَ يُصَفِّرُ صَفِيرًا عَالِيًّا . وَأَدْرَكْتُ أَنَّنَا بَيْنَا ، إِلَى حِينٍ ، فِي أَمَانٍ .

وَصَلْنَا أَخِيرًا إِلَى صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ شَدِيدَةِ الْإِنْجِدَارِ ذَاتِ قِمَّةٍ مُقَعَّرَةٍ . تَسَلَّقَ الْآنَ إِلَى قِمَّةِ
الصَّخْرَةِ وَدَلَّنِي لِي حِزَامَهُ ، وَشَدَّنِي إِلَى فَوْقِ .
إِبْتَسَمَ لِي وَقَالَ : «الآنَ أَمَامَنَا فُرْصَةٌ لِلرَّاحَةِ .»

وَكَانَ جَوَائِي عَلَى ذَلِكَ أَنِّي ارْتَمَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ فِي الْحَالِ وَغَرَقْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ .
اسْتَيْقَظْتُ عَلَى الْآنَ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى قَمِي ، وَيَهْمِسُ : «صَهْ ! إِنَّكَ تَسْخِرُ .»
أَجَبْتُ بِعَصِيَّةٍ : «وَأَيُّ ضَيْرٍ فِي ذَلِكَ ؟»

أَوَمَّا الْآنَ لِي لِأَنْظُرَ إِلَى أَسْفَلٍ . نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ عِنْدَ قَاعِدَةِ الصَّخْرَةِ مَجْمُوعَةً مِنْ ذَوِي
الْمَعَاظِفِ الْحَمَرَاءِ ، وَرَأَيْتُ حُرَاسًا يُرَاقِبُونَ الْمِنْطَقَةَ كُلَّهَا .

لَمْ يَكُنْ أَمَامَنَا إِلَّا أَنْ نَقِيعَ فِي مَكَانِنَا فَوْقَ الصَّخْرَةِ تَحْتَ أَشْعَةِ الشَّمْسِ الْمُحْرِقَةِ .
وَفِي نَحْوِ السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ كُنَّا قَدْ شَعَرْنَا وَكَأَنَّ شُوبِنَا أَحْيَاءَ ، وَلَمْ نَعُدْ نَطْبِقُ الصَّبْرَ عَلَى الْحَالِ .

وَصَلْنَا عِنْدَ الْفَجْرِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي نَقُصِدُهُ. وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا شَقًّا بَعِيدًا فِي رَأْسِ
الْجَبَلِ، بَدَا لِي، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ غَرَابَتِهِ، جَمِيلًا سَاحِرًا. قَضَيْنَا هُنَاكَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ نَنَامُ فِي
كَهْفٍ وَنَقْضِي الْوَقْتَ فِي صَيْدِ السَّمَكِ.

عَلَّمَنِي أَلَنَ الْمُبَارَزَةَ بِالسَّيْفِ. وَكَانَ مُعَلِّمًا صَارِمًا، يَصْعَبُ إِرْضَاؤُهُ، لَكِنِّي تَعَلَّمْتُ
مِنْهُ الْكَثِيرَ.

قَضَيْنَا كَذَلِكَ وَقْتًا طَوِيلًا نَخْطِطُ لِلْمُسْتَقْبَلِ. قَالَ أَلَنُ إِنَّهُ سَيُحَاوِلُ الْفِرَارَ إِلَى فَرَنْسَا.
أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَدْتُ الْعُودَةَ إِلَى قَصْرِ آلِ شُورْ وَمُطَالَبَةَ عَمِّي بِمِيرَاثِي الشَّرْعِيِّ.

رَأَيْنَا أَخِيرًا أَنَّ نَذْهَبَ مَعًا إِلَى مَنَاطِقَةِ الْمُنْخَفَضَاتِ حَيْثُ قَدْ أَتَمَكَّنُ مِنْ مُسَاعَدَةِ أَلَنَ
فِي خُطْطِ الْهَرَبِ. لَكِنْ كَانَ عَلَيْنَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ نَتَّصِلَ بِجِيمْسِ غِلِنَ لِتُعَلِّمَهُ بِمَكَانِ
وُجُودِنَا، وَنَسْأَلَهُ أَنْ يَجْمَعَ لَنَا مَالًا.



خَطَرْتُ لِأَنَّ فِكْرَةَ فَرِيدَةٍ. سَأَلَنِي أَوَّلًا إِنْ كُنْتُ أُعِيرُهُ الزَّرَّ الْفِضِّيَّ الَّذِي أُعْطَانِي
إِيَّاهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَاغِبًا فِي قَطْعِ زَرٍّ آخَرَ مِنْ مِعْطَفِهِ.

ثُمَّ شَقَّ شَرِيطًا ضَيِّقًا مِنْ بَطَانَةِ ثَوْبِهِ رَبَطَ بِهِ الزَّرَّ إِلَى عَوْدَيْنِ مُتَصَالَيْنِ . وَلَفَّ ذَلِكَ كَلَّهُ
فِي أَوْرَاقٍ مِنْ شَجَرِ الصَّنُوبَرِ وَالبَتُولَا . وَقَالَ لِي إِنَّ تِلْكَ رِسَالَةً سِيرُمِي بِهَا عَبْرَ شَبَاكِ أَحَدِ
الْبُيُوتِ فِي قَرْيَةٍ مُجَاوِرَةٍ لَهُ فِيهَا أَصْدِقَاءُ .

سَأَلْتُ : « لَكِنْ ، أَيُّهُمْ مَنْ تَقَعُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعْنَاهَا ؟ »

أَقْرَأَ أَلَنْ أَنَّ النَّجَاحَ غَيْرُ مَضْمُونٍ ، وَقَالَ : « عَلَيْنَا أَنْ نُجَرِّبَ . لَكِنْ هَذَيْنِ الْعَوْدَيْنِ
الْمُتَصَالَيْنِ شَبِيهَانِ بِالْعَلَامَةِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهَا بَيْنَ أَنْصَارِنَا لِلتَّجَمُّعِ وَالْقِتَالِ . وَلَمَّا كَانَتْ
رِسَالَتِي خَالِيَةً مِنْ أَيْ شَرْحٍ فَسَيَفْهَمُ مَنْ تَقَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنَّهَا لَيْسَتْ دَعْوَةٌ لِحَمْلِ السَّلَاحِ ،
بَلْ لِشَيْءٍ آخَرَ . وَمَنْ يَتَعَرَّفُ إِلَى زِرِّي سَيَعْرِفُ أَنَّ فِي خَطَرٍ . وَسَتَقُودُهُ أَوْرَاقُ الصَّنُوبَرِ
وَالْبَتُولَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ الْمَكَانُ الْوَحِيدُ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ الَّذِي يَحْوِي هَذَيْنِ
النَّوْعَيْنِ مِنَ الشَّجَرِ . »

قُلْتُ وَقَدْ ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ : « خُطَّةٌ فَرِيدَةٌ . لَكِنْ عِنْدِي خُطَّةٌ أَبْسَطُ
مِنْهَا . لِمَ لَا تُرْسِلُ رِسَالَةً مَكْتُوبَةً ؟ »

أَجَابَ وَهُوَ يَرُدُّ لِي ابْتِسَامَتِي : « لِأَنَّ صَدِيقِي الَّذِي أُرْسِلُ لَهُ الرِّسَالَةُ ، يَا سَيِّدُ رُوبِنْ
فُور ، لَا يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ ؟ »

تَسَلَّلَ أَلَنْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَسَلَّمَ رِسَالَتَهُ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي دَخَلَ عَلَيْنَا عِنْدَ الظَّهِيرَةِ رَجُلٌ ،
جَاءَ يَنْقُلُ الرِّسَالَةَ إِلَى جِيمْسٍ غِلْنِ .

عَادَ الرَّجُلُ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ يَحْمِلُ أَنْبَاءَ سَيِّئَةٍ . فَجِيمْسُ مَسْجُونٌ وَالْجُنُودُ يُمَشِّطُونَ
الرَّيْفَ بَحْثًا عَنَّا . كَانَ مَا مَعَنَا ، نَحْنُ الْإِثْنَيْنِ ، يَقُلُّ عَنْ سِتَّةِ جُنَيْهَاتٍ ، وَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ
تَتَدَبَّرَ أَمْرَ سَفَرِ أَلَنْ إِلَى فَرَنْسَا .

اسْتَأْنَفْنَا رِحْلَتَنَا بِقَلْبَيْنِ مُثْقَلَيْنِ. فَالرَّحْلَةُ الْآنَ تَبْدُو طَوِيلَةً، وَتَبْدُو آفَاقُهَا قَاتِمَةً.
فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كِدْتُ أَتَسَبَّبُ، بِحِمَاقَتِي، بِضِيَاعِ الْأَمَلِ الْبَاهِتِ بِالنَّجَاحِ الَّذِي كُنَّا لَا
نَزَالُ نَتَمَسَّكُ بِهِ. فَقَدْ نِمْتُ فِي أَثْنَاءِ نَوْبَةِ حِرَاسَتِي.

عِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ رَأَيْتُ نَفَرًا مِنَ الْجُنُودِ يَقْتَرِبُونَ مِنْ مَلْجَانَا. أُبْقِظْتُ أَلَنَ بِسُرْعَةٍ فَرَأَيْتُ
فِي الْحَالِ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ خَطَرٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يُوجِّهْ لِي كَلِمَةً لَوْمْ وَاحِدَةً.

لَمْ يَكُنْ أَمَامَنَا مِنْ فُرْصَةٍ إِلَّا بِالْإِتِّفَافِ حَوْلَ الْجُنُودِ، فَقَدْ كَانَ الْإِرْتِدَادُ إِلَى الْوَرَاءِ فِي
الطَّرِيقِ الَّتِي أَتَيْنَا مِنْهَا غَيْرَ مُمَكِّنٍ. فَتَقَدَّمْنَا بَيْنَ الْحَشَائِشِ وَالْجَنْبَاتِ عَلَى أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا،
كَمَا تَمْشِي الْحَيَوَانَاتُ، مُبْقِيَيْنَ رَأْسَيْنَا. طَوَالَ الْوَقْتِ، مَخْفُوضَيْنِ قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ.
وَكَانَ هَذَا النَّوعُ مِنَ التَّحَرُّكِ مُضْنِيًا، فَلَمْ يَمُضِ مِنَ الْوَقْتِ نِصْفُ سَاعَةٍ حَتَّى بَدَأْتُ
أَشْعُرُ أَنَّ فِي كُلِّ نَقْلَةٍ أَنْقَلُهَا نِهَايَةً لِحَيَاتِي. وَلَمْ يَجْعَلْنِي أَتَحَمَّلُ تِلْكَ الْآلَامَ إِلَّا خَوْفِي مِنَ
غَضَبِ أَلَنَ.

أَخِيرًا هَبَّطَ اللَّيْلُ. الْتَفَتْنَا وَرَاءَنَا فَرَأَيْنَا أَنَّ الْجُنُودَ لَمْ يَكْتَشِفُوا أَمْرَنَا. وَشَاءَ أَلَنَ أَنْ

نَمْشِيَ طَوَالَ اللَّيْلِ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَسْمَحَ لِي بِأَخْذِ قِطْعٍ مِنَ النَّوْمِ.
طَلَعَ الْفَجْرُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ لَا نَزَالُ نَمْشِي. كَانَ جَسَدَانَا مَخْنِيَيْنِ كَأَجْسَادِ الشُّبُوحِ،
وَوَجْهَانَا شَاحِبَيْنِ. لَمْ أَكُنْ أَرَى إِلَّا خَيَالَاتٍ، وَلَمْ أَكُنْ أَسْمَعُ شَيْئًا. فَقَدْ تَرَكْتُ انْتِبَاهِي
كُلَّهُ عَلَى نَقْلِ قَدَمِي إِلَى أَمَامِ الْأُخْرَى. وَكَانَ أَلَنَ يَتَرَنِّحُ أَمَامِي كَالْمَخْبُولِ.

فَجَاءَتْ قَفْزٌ مِنْ بَيْنِ الْجَنْبَاتِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ وَهَاجَمُونَا بِالسَّكَاكِينِ وَرَمَوْنَا أَرْضًا. وَلَمْ
أَعْبَأْ، وَأَنَا مُمَدِّدٌ عَلَى الْأَرْضِ، بِمَا يُصِيبُنِي، فَقَدْ كَانَ كُلُّ مَا يَعْنِينِي فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنِّي
تَوَقَّعْتُ، وَحَمَدْتُ رَبِّي عَلَى ذَلِكَ. سَمِعْتُ أَلَنَ يَهْمِسُ لِأَحَدِ الرِّجَالِ بِاللُّغَةِ الْمَحَلِّيَّةِ،
وَرَأَيْتُهُمْ يَرْفَعُونَ سَكَاكِينَهُمْ عَنْ عُنُقِنَا.

قَالَ أَلَنَ: «إِنَّهُمْ أَصْدِقَاءُ، يَا رُوبِن. إِنَّهُمْ رِجَالُ كِلَانِي مَا كَفَرُوا سُنَّ الْمُنَافِضِ
لِلسُّلْطَةِ.»

كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ عَنْ ذَلِكَ الْاسْكُتْلَنْدِيِّ الشَّهِيرِ، لَكِنْ لَمْ أَكُنْ أَتَصَوَّرُ أَنَّهُ يَجْرُؤُ عَلَى
الْبَقَاءِ فِي مَنَاطِقَتِهِ. فَقَدْ كُنْتُ افْتَرَضْتُ أَنَّهُ لَجَأَ إِلَى فَرَنْسَا مَعَ مَنْ لَجَأَ مِنْ جَمَاعَتِهِ.



أَخَذَنَا إِلَى مَخْبِئِهِ الَّذِي كَانَ مُعَلَّقًا بَيْنَ جُذُوعِ أَشْجَارٍ كَثِيفَةٍ وَأَغْصَانٍ مُتَشَابِكَةٍ.
اسْتَقْبَلَنَا كَلَانِي اسْتِقْبَالًا حَسَنًا وَقَدَّمَ لَنَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ. وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ ثِيَابِهِ الْعَتِيقَةِ
الْمُسْرَقَةِ فَقَدْ كَانَ فِي تَصَرُّفَاتِهِ صِفَاتُ الرُّعَمَاءِ.

بَعْدَ تَنَاوُلِ الْعِشَاءِ، جَاءَ كَلَانِي بِوَرَقٍ لَعِبٍ واقترح أن نلعب. احمر وجهي، فقد
كنت وعدت أبي ألا ألعب بالورق أبدًا.

اعتذرت عن المشاركة في اللعب، وتحتج جانبًا. كان رأسي يؤلمني ألماً شديداً،
وكنت أشعر بحرارة عالية وتخدیر في جسدي كله. نمت نوماً مضطرباً طوال يومين،
انتابني خلالهما كوابيس مرعبة كنت أستيقظ فيها على نفسي وأنا أصرخ.

وقد أيقظني الآن في هذين اليومين مرة واحدة طلب مني فيها قرصاً، فأعطيته كل ما
معي وعدت إلى نومي المضطرب.

استيقظت في اليوم الثالث وقد استعدت شيئاً من قواي. لكنني اكتشفت أن الآن خسر
نقودنا، نحن الاثنين. ووجدنا أنفسنا في مأزق حرج. أراد كَلَانِي أن يُعيد إلينا نقودنا،
لكنني لم أكن أعرف إذا كان من اللائق أن أقبلها منه. أقنعتني أخيراً أنه لم يكن يسعى
وراء الربح، لكنني كنت أحسُّ بإخراج شديد. وكنت ناقماً على الآن لأنه وضعني في
مثل هذا الموقف.

استأنفنا رحلتنا في صمتٍ كئيب. كنتُ غاضباً ولكن رافع الرأس، وكان الآن
غاضباً وحجلاً من نفسه.

كان الآن حجلاً لأنه خسر مالي، وغاضباً لأنني غاضبٌ منه. وقد زاد في تعاسي أنني
كنتُ لا أزال أعاني من بعض الإرهاق وارتفاع الحرارة. اعتذرت لي الآن مرة عن فعلته،
لكنني لم أكن أريد أن أسمع منه شيئاً.

تابعنا سفرنا في تلك الناحية أياماً ثلاثة. أخيراً قطع الآن حبل الصمت بأن راح يصفر
بأنشراح ويغني. لقد تغلب على حجله، والآن شرع يسخر مني. فذكر أنني من الرعاع
أتباع الملك جورج الأول، وأني أخاف القفز عبر أنهار صغيرة. أخيراً لم أعد أحتول
سخريته فأطلقت العنان لمشاعري.



قُلْتُ: «أَنْتَ أَكْبَرُ مِنِّي سِنًا، يَا سَيِّدُ سْتِيوارْت، وَحَقُّكَ أَنْ تَكُونَ قَدْ تَعَلَّمْتَ مُرَاعَاةَ
مَشَاعِيرِ الْآخَرِينَ كَمَا يُرَاعِي الْآخَرُونَ مَشَاعِيرَكَ.»

وَكَانَ رَدُّهُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهِ وَرَاحَ يُصَفِّرُ لَحْنًا اسْكُتْلَنْدِيًّا. ثُمَّ قَالَ
بِافْتِخَارٍ:

«أَنَا مِنْ آلِ سْتِيوارْت.»

أَجَبْتُ: «نَعَمْ، أَعْرِفُ أَنَّكَ تَحْمِلُ اسْمَ تِلْكَ الْأُسْرَةِ الْمَالِكَةِ. وَأَنْتَ لَا تَفْعَلُ تَذَكُّرُنِي
بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ. لَكِنِّي لَمْ أَقَابِلْ أَحَدًا مِنْ آلِ سْتِيوارْت فِي اسْكُتْلَنْدَا إِلَّا وَكَانَ جِلْفًا وَقَذِيرًا.»

وَقَفَ أَلَنَ مَبْهُوتًا وَكَأَنَّهُ لَا يُصَدِّقُ مَا يَسْمَعُ، وَقَالَ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ، وَقَدْ شَدَّ عَلَى
أَسْنَانِهِ: «أَتَدْرِكُ أَنَّكَ تَهِينُنِي؟»



كَانَ غَضَبِي يَتَعَاظِمُ ، فَقُلْتُ : « وَفَوْقَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الرُّعَاعَ الَّذِينَ تَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ قَدْ
وَاجَهُوكُمْ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ وَقَهَرُوكُمْ . أَلَا تَظُنُّ أَنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَرَاهُمْ لِذَلِكَ خَيْرًا مِنْكُمْ . »
قَالَ أَلَنْ ، وَقَدْ احْتَقَنَ وَجْهُهُ غَضَبًا : « لَنْ أُسَامِحَكَ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . »
أَجَبْتُ ، وَأَنَا أَمْتَشِقُ سِنِّي : « وَلَا أَنَا أُسَامِحُ . »

وَقَفَ أَلَنْ جَامِدًا أَمَامِي وَقَدْ بَدَأَ عَلَى وَجْهِهِ الدُّهُولُ ، ثُمَّ صَاحَ :
« يَا رُوبِنْ ، أَنْتَ مَجْنُونٌ ؟ لَا أَسْتَطِيعُ مُبَارَزَتَكَ . أَكُونُ كَأَنِّي أُرْتَكِبُ جَرِيْمَةً قَتْلًا ! »
أَجَبْتُ : « لَقَدْ أَهَنْتَنِي . »

جَرَّدَ أَلَنْ سَيْفَهُ يَبْطِئُ ثُمَّ رَمَاهُ جَانِبًا ، وَهُوَ يَصِيحُ : « لَا ! لَا ! لَا أَقْدِرُ ! »
فَجَاءَ زَائِلَنِي غَضَبِي . وَأَحْسَسْتُ بِخَوَاءٍ فِي قَلْبِي وَسَائِرِ أُنْحَاءِ جَسَدِي . وَشَعَرْتُ بِشَيْءٍ
يَقِفُ فِي حَلْقِي وَبِكَادُ يَخْنُقَنِي . وَنَدِمْتُ عَلَى مَا صَدَرَ مِنِّي مِنْ كَلِمَاتٍ قَاسِيَةٍ . تَذَكَّرْتُ
شَجَاعَتَهُ وَعَظْفَهُ عَلَيَّ فِي الْأَوْقَاتِ الْعَصِيَّةِ . فَجَاءَ خَذَلْتَنِي قُوَايَ ، وَلَمْ أَعُدْ أَقْوَى عَلَى
الْوُقُوفِ . وَأَحْسَسْتُ بِالْحُمَى تَشْتَعِلُ فِي جَسَدِي .

قُلْتُ بِصَوْتٍ هَادِيٍّ : « يَا أَلَنْ ، إِنْ لَمْ تُسَاعِدْنِي ، فَسَأَمُوتُ هُنَا . »
بَدَأَ الدُّعْرُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَسَأَلَ : « أَتَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ ؟ »
أَجَبْتُ : « لَا ، فَسَاقَايَ وَاهِتَانِ ، وَفِي جَنْبِي أَلَمٌ مُرَوِّعٌ . إِذَا مِتُّ سَامِحْنِي ، يَا أَلَنْ .
فَإِنِّي أَحْبَبْتُكَ دَائِمًا ، حَتَّى فِي أَوْقَاتِ غَضَبِي . »
أَسْرَعَ أَلَنْ نَحْوِي يُمَسِكُنِي لِئَلَّا أَسْقُطَ . وَصَاحَ بِفَزَعٍ : « لَا تَقُلْ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ ، يَا
رُوبِنْ . أَنَا غَيْبٌ قَلِيلٌ الْإِذْرَاكِ . فَقَدْ نَسِيتُ أَنَّكَ فَتَى ، وَلَمْ أَلَاحِظْ أَنَّ الْإِرْهَاقَ وَالْقَلَقَ
وَالْحُمَى تَكَادُ تَقْتُلُكَ . أَرْجُوكَ سَامِحْنِي . »

أَجَبْتُ : « فَلَنْسَ هَذَا الْأَمْرَ . يَا أَلَنْ لِمَ تَعْطِفُ عَلَيَّ هَذَا الْعَطْفَ كُلَّهُ ؟ »
أَجَابَ مُبَسِّمًا : « لَا أَعْرِفُ ، فِعْلًا . أَحْبَبْتُكَ مِنْ قَبْلُ لِأَنَّكَ لَا تُخَاصِمُ . وَالْآنَ أُحِبُّكَ
أَكْثَرَ ! »

دَخَلْنَا بَيْتًا قَرِيبًا فَاسْتَقْبَلَ الْآنَ بِاحْتِرَامٍ بِالْعِ . أَقَمْنَا هُنَاكَ أَيَّامًا إِلَى أَنْ اسْتَعَدَّتْ جَانِبًا
مِنْ عَافِيَتِي . ثُمَّ انْطَلَقْنَا ، فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ آبِ (أَغُسْطُس) نَحْوَ مَدِينَةِ سْتِيرْلِنغ . وَبَعْدَ مَسِيرَةِ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَصَلْنَا إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ الْمَعْلُومَةِ بِقَلْعَتِهَا الْمَشْهُورَةِ .

قَالَ لِي الْآنَ : «هَا أَنْتَ الْآنَ فِي دِيَارِكَ ثَانِيَةً . إِذَا تَمَكَّنَّا مِنْ عُبُورِ نَهْرِ فُورْت - هَذَا
النَّهْرِ الْعَرِضِ - فَسَنَكُونُ فِي أَمَانٍ .»

وَلَكِنْ أَنْ تَخِيلَ ، لِذَلِكَ ، خَبِيَّةَ الْأَمَلِ الْمَرِيرَةِ الَّتِي حَلَّتْ بِنَا عِنْدَمَا رَأَيْنَا جِسْرَ الْعُبُورِ
الْوَحِيدَ تَحْتَ حِرَاسَةِ مُشَدَّدَةٍ ! لَمْ يَكُنْ مَعَنَا نَقُودٌ ، وَلَا كَانَ يَفْصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَرِّ الْأَمَانِ
سِوَى نِصْفِ مِيلٍ مِنَ الْمَاءِ .

جَلَسْتُ أَيْنُ قَهْرًا . فَبَعْدَ الْأَهْوَالِ الَّتِي اجْتَرَنَاهَا يُنْمَعُ عَلَيْنَا الْآنَ بَرِّ الْأَمَانِ ! أَيُّ عَدَلٍ
هَذَا ؟

غَيْرَ أَنْ الْآنَ لَمْ يَقْبَلْ أَنْ يَتَسَرَّبَ الضَّعْفُ إِلَى قَلْبِهِ . وَقَادَنِي شَرَفًا صَوَّبَ الْبَحْرَ ، وَقَالَ
لِي بِصَوْتٍ حَازِمٍ :

«هَلْ لَاحَظْتَ الْحَسَنَاءَ الَّتِي تَقُومُ عَلَى خِدْمَتِنَا ؟»

أَجَبْتُ أَنِّي لَاحَظْتُهَا وَأَنِّي أَرَاهَا جَمِيلَةً .

قَالَ الْآنَ : «عَظِيمٌ . فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَطَعْتَ كَسْبَ عَطْفِهَا فَقَدْ تَرَوَدُنَا بِقَارِبٍ . أَنْتَ عَلِيلٌ
وَهَذَا بَادٍ عَلَى وَجْهِكَ ، لَكِنْ تَظَاهَرُ أَنَّكَ أَكْثَرُ اعْتِلَالًا مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ فِعْلًا .»

«إِنْ لَمْ تَتِمَكَّنْ مِنْ عُبُورِ الْجِسْرِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَجْرِبَ عُبُورَ مَصْبِ النَّهْرِ .»

لَمْ أَقْتَنِعْ بِجَدْوَى اقْتِرَاحِهِ ، وَقُلْتُ : «الْبَحْرُ عِنْدَ الْمَصْبِ أَعْرَضُ مِنَ النَّهْرِ نَفْسِهِ .
فَكَيْفَ سَتَمَكَّنُ مِنَ الْعُبُورِ وَلَيْسَ مَعَنَا مَا نَسْتَأْجِرُ بِهِ قَارِبًا ؟»

أَجَابَ بِاطْمِئْنَانٍ : «سَاجِدُ طَرِيقَةٍ . سَاجِدٌ مَنْ يَعْبُرُ بِنَا الْمَصْبَ بِقَارِبِهِ وَيَعُودُ بِهِ تَجَنُّبًا
لِإِثَارَةِ الشُّكُوكِ .»

لَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ سَيَفْقِدُ خُطَّتَهُ ، وَصَرَّحْتُ لَهُ بِعَدَمِ ارْتِيَاحِي ، لَكِنَّهُ بَقِيَ عَلَى
اطْمِئْنَانِهِ . وَهَكَذَا مَشِينَا طَوَالَ اللَّيْلِ فِي الْإِتِّجَاهِ الْمُقْتَرَحِ .

وَصَلْنَا فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ إِلَى نَزْلِ يُوَاجِهُ مَدِينَةَ كُوبِتْرُفْرِي عَلَى الضَّفَةِ الْأُخْرَى
لِلنَّهْرِ ، حَيْثُ كُنْتُ أَسْعَى لِلْوُصُولِ . فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ كَانَ يَعِيشُ الْمُحَامِي السَّيِّدُ رُنْكِيلَرُ
الَّذِي كُنْتُ أَنُوي طَلَبَ مُسَاعَدَتِهِ فِي مُحَاوَلَتِي اسْتِعَادَةَ مِيرَاتِي .

قَامَتْ عَلَى خِدْمَتِنَا فِي النَّزْلِ صَبِيَّةٌ حَسَنَاءُ . وَرَأَيْتُ الْآنَ يَجْلِسُ صَامِتًا وَقَدْ اسْتَعْرَقَ فِي
التَّفَكُّيرِ . أَخِيرًا تَكَلَّمَ فَقَالَ :

«هَلْ لَاحَظْتَ الْحَسَنَاءَ الَّتِي تَقُومُ عَلَى خِدْمَتِنَا ؟»

أَجَبْتُ أَنِّي لَاحَظْتُهَا وَأَنِّي أَرَاهَا جَمِيلَةً .

قَالَ الْآنَ : «عَظِيمٌ . فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَطَعْتَ كَسْبَ عَطْفِهَا فَقَدْ تَرَوَدُنَا بِقَارِبٍ . أَنْتَ عَلِيلٌ
وَهَذَا بَادٍ عَلَى وَجْهِكَ ، لَكِنْ تَظَاهَرُ أَنَّكَ أَكْثَرُ اعْتِلَالًا مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ فِعْلًا .»





لَمْ نَجِدْ بَعْدَ ذَلِكَ ضَعُوبَةً كَبِيرَةً فِي إِقْنَاعِ الصَّبِيَّةِ بِمُسَاعَدَتِنَا ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَمَا ذَكَرْتُ
أَنِّي لَمْ أُرْتَكِبْ جُرْمًا ، وَأَنِّي أَسْعَى لِمُقَابَلَةِ السَّيِّدِ رُنْكِيَلَرِ الَّذِي تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهَا تَعْرِفُهُ .
أَشَارَتْ عَلَيْنَا بِالْإِنْتِظَارِ فِي غَابَةِ قَرْيَةٍ حَتَّى الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ لَيْلًا ، رَئِثًا تَفَكُّرٌ فِي وَسِيلَةِ
تُسَاعِدُنَا بِهَا . وَوَعَدَتْ بِالْعُودَةِ إِلَيْنَا .

إِنْتِظَرْنَا ، لَكِنَّا كُنَّا غَيْرَ وَاثِقَيْنِ مِنْ أَنَّهَا سَتَنِي بِوَعْدِهَا . وَكَانَتْ ، لِحُسْنِ الْحِظِّ ، وَفِيهِ
وَشَجَاعَةٍ . فَقَدْ عَادَتْ إِلَيْنَا ، وَنَقَلْتَنَا بِنَفْسِهَا عَبْرَ النَّهْرِ فِي قَارِبٍ اسْتَعَارْتَهُ مِنْ جِيرَانِ لَهَا .
إِفْتَرَقْنَا ، أَلَنْ وَأَنَا ، فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ خَارِجَ مَدِينَةِ كُونُزُفْرِي . أَنَا تَوَجَّهْتُ إِلَى
مَرْلِرِ رُنْكِيَلَرِ يَتِمَّا بَقِيَ أَلَنْ مُخْتَبِئًا رَئِثًا أَعُودُ إِلَيْهِ .

وَبَيْنَمَا أَنَا أَعْبُرُ شَوَارِعَ الْمَدِينَةِ النَّظِيفَةِ الْهَادِئَةِ رَاحَتْ صُورُ الْمُغَامَرَاتِ الَّتِي عِشْتُهَا تَتَوَالَى
عَلَى مُخَيَّلَتِي . وَبَدَتْ تِلْكَ الْمُغَامَرَاتُ فِي تَوَالِيهَا وَعُنْفُهَا وَمَخَاطِرِهَا أَشْبَهَ بِالْخَيَالِ ، وَأَدْرَكْتُ
أَنِّي قَدْ لَا أَجِدُ إِنْسَانًا عَاقِلًا يُصَدِّقُهَا . بَلْ إِنِّي عِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَى ثِيَابِي الرِّثَّةِ الْمُمَرَّقَةِ
أَدْرَكْتُ أَنِّي قَدْ لَا أَجِدُ إِنْسَانًا عَاقِلًا يَقْبَلُ حَتَّى أَنْ يُدْخِلَنِي بَيْتَهُ .

رَضِيتُ أَوَّلَ الْأَمْرِ الْقِيَامَ بِهَذَا الدَّوْرِ . فَقَدْ بَدَأَ لِي ذَلِكَ مُسَلِّيًا . لَكِنَ أَلَنْ رَاحَ يُبَالِغُ
أَمَامَ الصَّبِيَّةِ فِي وَصْفِ اعْتِلَالِي وَسُوءِ حَالِي ، حَتَّى أَثَارَ غَضَبِي مِنْ هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْغِشِّ .
أَخِيرًا تَوَسَّلْتُ إِلَى أَلَنْ لِيُكْفَ عَنْ مُبَالَغَاتِهِ ، لَكِنَ صَوْتِي جَاءَ ، فِي غَمْرَةٍ انْفِعَالِي ،
مُخْتَنِقًا ضَعِيفًا ، بِحَيْثُ بَدَوْتُ عَلِيلًا فَعَلًا مِثْلَمَا حَاوَلَ صَدِيقِي أَنْ يُصَوِّرَنِي .
تَحَوَّلَ اهْتِمَامُ الصَّبِيَّةِ الْآنَ إِلَى الْكِتَابِ ، وَهَتَفَتْ أَخِيرًا فِي حُزْنٍ : « أَلَيْسَ لَهُ أَهْلٌ
وَأَصْحَابٌ يَتَوَلَّوْنَ رِعَايَتَهُ ؟ »

أَسْرَعَ أَلَنْ يَقُولُ بِدَهَاءٍ : « بِضَعْبِ الْوُصُولِ إِلَى أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ . »

قَالَتِ الْفَتَاةُ ، وَقَدْ وَقَعَتْ فِي الْفَخِّ : « لَكِنَ لِمَاذَا ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ »

لَمْ يَقُلْ أَلَنْ شَيْئًا لَكِنَّهُ رَاحَ يُصَفِّرُ لَحْنًا مِنْ أَلْحَانِ الْعُصَاةِ الْاسْكُتْلَنْدِيِّينَ . فَضَعِقتُ
الصَّبِيَّةُ ، وَقَدْ تَحَوَّلَ اكْتِنَابُهَا إِلَى هَلَعٍ ، خَوْفًا عَلَيَّ مِمَّا يُصِيبُ الْعُصَاةَ مِنْ مَصِيرٍ ،
وَهَتَفَتْ قَائِلَةً : « صَهْ ؟ » وَكَبَّرَ أَلَنْ الْمَاجِسَ الَّذِي أَفْرَعَهَا بِأَنْ مَرَّ بِحَافَةِ كَفِّهِ أَمَامَ عُنُقِهِ ،
وَكَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يُصَوِّرَ لَهَا الْمَصِيرَ الَّذِي يَتَنَبَّأُنِي إِذَا مَا أُلْقِيَ الْقَبْضُ عَلَيَّ .



وَقَفْتُ أَمَامَ بَيْتِ الْمُحَامِي تَنْهَشُنِي الشُّكُوكُ. وَلَعَلِّي لَمْ أَكُنْ لِأَجِدَ الشَّجَاعَةَ لِمُحَاوَلَةِ
الدُّخُولِ لَوْ لَمْ يَنْفَتَحِ الْبَابُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَاشِفًا عَنِّي وَجْهَهُ عَجُوزٍ وَدِيعٍ .
لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ الرَّجُلَ ، وَلَا كَانَ هُوَ يَعْرِفُنِي ، لَكِنَّهُ وَقَدْ قَرَأَ الْبُؤْسَ الْمَنْقُوشَ عَلَى
وَجْهِهِ ، وَرَأَى ثِيَابِي الْمُمَرَّقَةَ ، اقْتَرَبَ مِنِّي خُطْوَةً وَسَأَلَنِي عَنِ اسْمِي .
أَجَبْتُ عَلَى الْفَوْرِ : « رُوَيْنَ فُور آلْ شُوز ، يَا سَيِّدِي . »
أَجْلَلَ الرَّجُلُ مِنْ جَوَابِي ، وَرَدَّدَ بِصَوْتٍ ذَاهِلٍ : « رُوَيْنَ فُور ! » ثُمَّ تَمَالَكَ نَفْسُهُ وَنَظَرَ
إِلَيَّ نَظْرَةً ثَاقِبَةً وَقَالَ : « وَمِنْ أَتَيْنَ جِئْتُ ، يَا سَيِّدُ فُور ؟ »
أَجَبْتُ : « جِئْتُ مِنْ أَمَا بَيْنَ كَثِيرَةٍ غَرِيبَةٍ ، يَا سَيِّدِي وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أُحَدِّثَكَ بِالْكَثِيرِ لَوْ
لَمْ نَكُنْ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ الْعَامِّ . »

كُنْتُ أَدْرِكْتُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي بَرَزَ أَمَامِي هُوَ السَّيِّدُ رَنْكِبَارُ نَفْسُهُ. وَقَدْ أَدْخَلَنِي
المُحَامِي، بَعْدَ سَمَاعِ جَوَابِي، إِلَى مَتَرِلِهِ، وَقَادَنِي إِلَى غُرْفَةِ الْمَكْتَبِ. وَهُنَاكَ جَلَسَ فِي
كُرْسِيِّهِ وَدَعَانِي بِأَدَبٍ إِلَى الْجُلُوسِ. ثُمَّ بَادَرَنِي بِلَهْجَةٍ رَجُلِ الْأَعْمَالِ قَائِلًا:

«وَالْآنَ، يَا سَيِّدُ فُور، مَا الَّذِي تُرِيدُهُ؟»

إِحْمَرَّ وَجْهِي ارْتِبَاكًا وَعَضَضْتُ لِسَانِي، ثُمَّ أَسْرَعْتُ أَقُولُ: «أَعْتَقِدُ أَنِّي صَاحِبُ
الْحَقِّ فِي قَضَرِ آلِ شُوزِ وَأَرَا ضِيْعَهُمْ.»

لَمْ يَبْدُ عَلَى الْمُحَامِي أَنَّهُ فُوجِيٌّ بِمَا قُلْتُهُ مُنْفَعِلًا، بَلْ اكْتَفَى بِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ:
«أَكْمِلْ كَلَامَكَ.»

عَرَفْتُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، وَأَنَا أَمَامَ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، أَنَّ لَا أَمَلَ لِي إِلَّا إِذَا وَضَعْتُ ثِقَتِي
الْكَامِلَةَ فِي ذَلِكَ الرَّجُلِ. فَعَقَدْتُ الْعَزْمَ عَلَى إِخْبَارِهِ بِالْحَقِيقَةِ كُلِّهَا، وَرَوَيْتُ لَهُ مُغَامِرَاتِي
مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

لَمْ يَكُنْ، كَمُحَامٍ، قَادِرًا عَلَى أَنْ يَتَسَامَحَ بِأَمْرِ الصَّدَاقَةِ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خَارِجٍ عَلَى
الْقَانُونِ. لَكِنَّهُ اخْتَارَ حَلًّا وَسَطًا، فَتَظَاهَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ اسْمَ الْآنَ عَلَى نَحْوِ سَلِيمٍ وَسَمَاءُ
السَّيِّدِ طَوْمُسُنْ.

رَاحَ السَّيِّدُ رَنْكِبَارُ يَسْأَلُنِي عَنْ بَعْضِ التَّفَاصِيلِ فِي مُغَامِرَاتِي وَيُدَوِّنُ إِجَابَاتِي فِي دَفْتَرِهِ.
ثُمَّ قَامَ يُقَارِنُ مَا قُلْتُ بِأَوْرَاقٍ كَانَتْ مَجْمُوعَةً لَدَيْهِ.

أَخِيرًا ابْتَسَمَ وَقَالَ: «رِوَايَتُكَ تُوَافِقُ الْحَقَائِقَ الَّتِي تَجَمَّعَتْ لَدَيَّ. يَا سَيِّدُ فُور لَقَدْ
وَاجَهْتَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَخَاطِرِ، وَتَصَرَّفْتَ، فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ، التَّصَرُّفَ الْحَسَنَ. إِنَّ
السَّيِّدَ طَوْمُسُنْ رَجُلًا رَفِيعَ الْمَزَايَا لَكِنَّهُ مُتَهَوِّرٌ. أَخْلَصْتَ لَهُ وَأَخْلَصَ لَكَ، وَالْإِخْلَاصُ
صِفَةُ حَمِيدَةٍ. أَظُنُّ أَنَّ تِلْكَ أَيَّامٌ وَلَّتْ. أَنْتَ تُوشِكُ الْآنَ عَلَى الْخِلَاصِ مِنْ مَتَاعِبِكَ.»

أَمَرَ لِي عِنْدَئِذٍ بِمَوَادِّ لِلِاسْتِحْمامِ وَأَعْطَانِي بَعْضَ ثِيَابِ ابْنِ مِنْ أُنْبَائِهِ، وَدَعَانِي لِتَنَاوُلِ
الْعِشَاءِ مَعَهُ. ثُمَّ تَرَكَنِي وَمَضَى.

حَكَى لِي السَّيِّدُ رَنْكِيلَر عَلَى الْعِشَاءِ حِكَايَةَ الْإِرْتِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي كُنْتُ أَسْمَعُ لِكَشْفِهَا .
قَالَ :

«بَدَأَتِ الْحِكَايَةُ بَعْدَ قِصَّةِ غَرَامٍ . فَقَدْ كَانَ عَمُّكَ إِبْنِزَر فِي صِبَاهُ شَابًا وَسِيمًا نَبِيلًا .
وَكَانَ شُجَاعًا إِلَى حَدِّ التَّهَوُّرِ ، وَقَدْ اتَّحَقَ فِي الْعَامِ ١٧١٥ بِالنَّائِرِينَ عَلَى سُلْطَةِ مَلِكِ
الْإِنْكَلِيزِ ، لَكِنَّ أَبَاكَ الرَّصِينَ الْعَاقِلَ لَحِقَ بِهِ وَأَعَادَهُ إِلَى الْمَتَرَلِ .

«ثُمَّ وَقَعَ الْأَخَوَانِ فِي غَرَامِ صَبِيَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَكَانَ عَمُّكَ ، الْأَصْغَرُ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ ، قَدْ
عَاشَ طُفُولَةً مُدَلَّلَةً بَعَثَتْ فِي نَفْسِهِ الْغُرُورَ . وَقَدْ ظَنَّ لِذَلِكَ أَنَّ مِنَ الْيَسِيرِ عَلَيْهِ الْفُوزَ بِقَلْبِ
الصَّبِيَّةِ الَّتِي أَحَبَّ . غَيْرَ أَنَّ الصَّبِيَّةَ اخْتَارَتْ أَبَاكَ ، فَتَرَكَ ذَلِكَ فِي قَلْبِ عَمِّكَ جُرْحًا عَمِيقًا
وَأَحْسَنَ أَنْ كَرَامَتَهُ طُعِنَتْ .

«إِمْتَلَى جَوَادُهُ وَرَاحَ يَطُوفُ فِي الْمَنَاطِقِ الْمُجَاوِرَةِ يَرُوي قِصَّتَهُ لِلنَّاسِ وَيَزْعُمُ أَنَّ
شَقِيقَهُ خَدَعَهُ .

«وَكَانَ أَبُوكَ ، يَا سَيِّدُ رَوِينِ ، رَجُلًا عَطُوفًا صَادِقًا شَهِيمًا ، وَعِنْدَمَا رَأَى عَذَابَ أَخِيهِ
تَخَلَّى لَهُ عَنِ الْفِتَاةِ الَّتِي يُحِبُّ . لَكِنَّ الْفِتَاةَ نَفْسَهَا لَمْ تَكُنْ تُحِبُّ إِبْنِزَرَ ، وَقَدْ أَغْضَبَهَا
تَصَرُّفُ أَبِيكَ فَرَفَضَتْ الرَّجُلَيْنِ مَعًا .

«نَسِبَ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ زِعَاعٌ طَوِيلٌ انْتَهَى إِلَى اتِّفَاقٍ غَرِيبٍ ، لَمْ يَأْخُذْ فِيهِ أَيُّ
مِنْهُمَا بِنَصِيحَةِ الْمُحَامِي . وَقَضَى الْإِتِّفَاقُ بِأَنْ يَتَزَوَّجَ أَبُوكَ الْفِتَاةَ الَّتِي يُحِبُّ وَيَأْخُذَ عَمُّكَ
إِبْنِزَرَ قَصْرَ آلِ شُوزِ وَأَرْضِيهِمْ .

«وَكَانَ مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ أَنَّ عَاشَ أَبُوكَ وَأُمُّكَ حَيَاةَ فَقْرٍ ، بَيْنَمَا ظَلَّ عَمُّكَ يُحْسِنُ أَنَّهُ
مَظْلُومٌ ، وَيَزِيدُهُ ذَلِكَ الشُّعُورُ مَرَارَةً وَقَسْوَةً يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . وَكَانَ مِنْ نَتِيجَةِ مَا تَلَبَّسَهُ مِنْ
طِبَاعِ سَيِّئَةٍ أَنَّ كَرِهَهُ الْمُزَارِعُونَ فِي أَرْضِيهِ وَتَخَلَّى عَنْهُ أَصْدِقَاؤُهُ . وَقَدْ لَمَسْتَ أَنَّ نَفْسُكَ
شَيْئًا مِنْ أَنَانِيَّتِهِ وَجَشَعِهِ . »

قُلْتُ : «كَيْفَ تَرَى وَضْعِي ، يَا سَيِّدِي ، وَالْحَالُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ؟ هَلْ تَغْيِرُ قِصَّةُ
الْحُبِّ تِلْكَ ، وَمَا تَأْتِي عَنْهَا مِنْ نَتَائِجٍ ، حَقِّي فِي أَنَّ أَرِثَ مُمْتَلَكَاتِ آلِ شُوزِ؟»

أَجَابَ السَّيِّدُ رَنْكِيلَرُ : « لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْإِتِّفَاقُ لَمْ يُدَوَّنْ فِي وَثِيقَةٍ قَانُونِيَّةٍ ، فَأَنْتَ لَا تَرَالُ فِي نَظَرِ الْقَانُونِ الْوَرِثَ الشَّرْعِيَّ . إِلَّا أَنَّ عَمَّكَ لَنْ يَتَخَلَّى لَكَ عَنْ حَقِّكَ بِسُهُولَةٍ . وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يُثَبِّتُ أَنَّ عَمَّكَ سَعَى إِلَى اخْتِطَافِكَ ، كَمَا أَنَّ صَدَاقَتَكَ لِلْسَّيِّدِ طَوْمَسُنْ لَنْ تَرُوقَ فِي عَيْنِ السُّلْطَةِ .

أَنْصَحُكَ لِذَلِكَ أَنَّ تَتْرَكَ عَمَّكَ يُقِيمُ فِي قَصْرِ آلِ شُورْ عَلَى أَنَّ تَجْعَلَهُ يُشْرِكُكَ فِي غَلَّةِ الْأَرْضِ . »

أَجَبْتُ : « مُوَافِقٌ ، لَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نُوقِعَهُ فِي فَخٍّ وَإِلَّا فَلَنْ يُشْرِكَنِي فِي غَلَّةِ الْأَرْضِ أَبَدًا . عَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَهُ يَعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ أَمَامَ شُهَدَاءِ . »

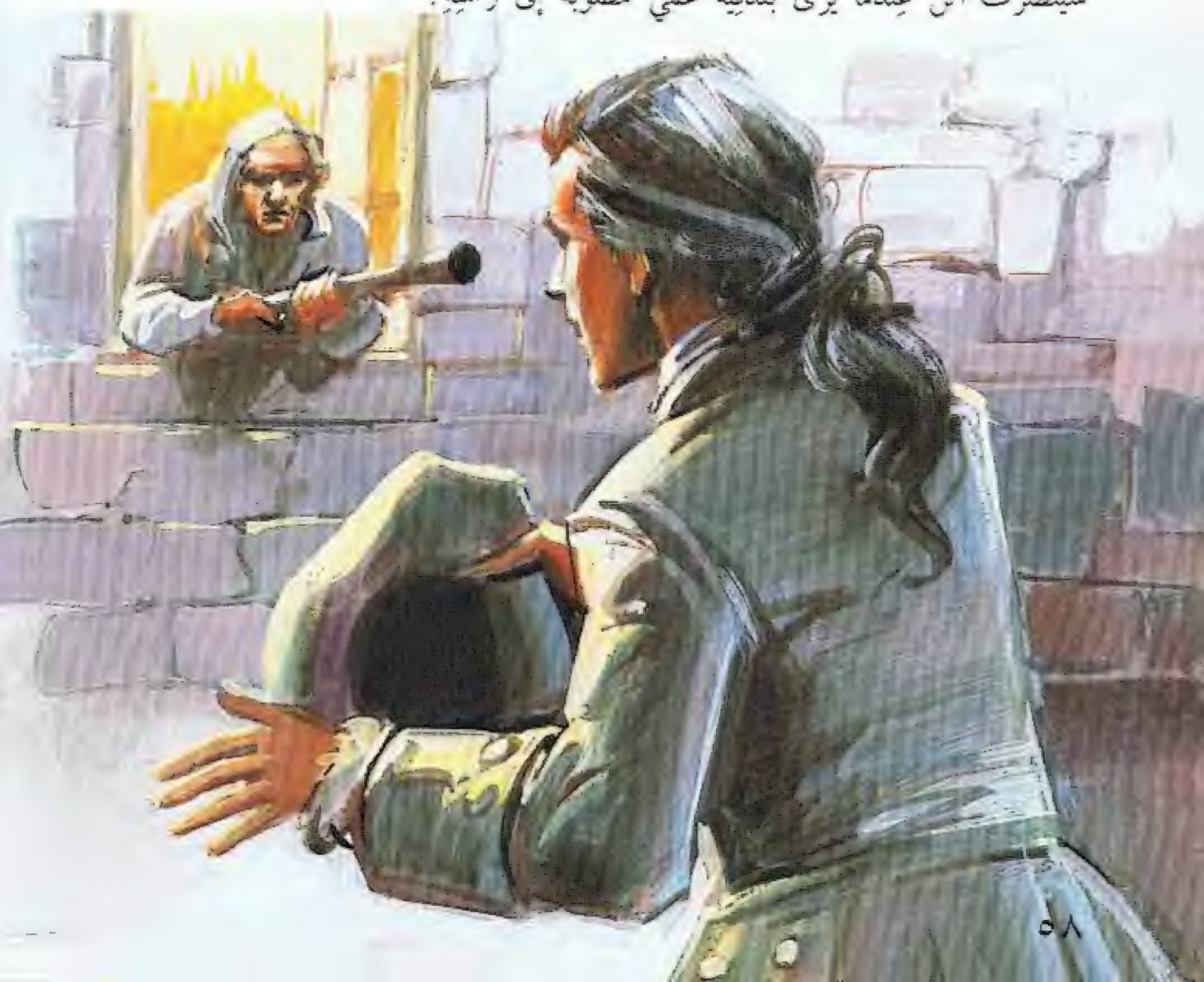


أَعَدَدْتُ خُطَّةً لِلإِقْقَاعِ بِعَمِّي ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَتَطَلَّبُ لِقَاءَ بَيْنَ السَّيِّدِ رَنْكِيَارَ وَالْأَنِّ بَرْكَ ،
وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يُوَافِقْ عَلَيْهِ الْمُحَامِي إِلَّا بَعْدَ تَرَدُّدٍ شَدِيدٍ .

إِلْتَقَيْنَا أَلْنَ فِي مَكَانٍ اخْتِبَائِهِ ، وَدَرَسَ هُوَ وَالسَّيِّدُ رَنْكِيَارَ الْخُطَّةَ ، وَأَبْدَى اسْتِعْدَادَهُ
لِمُسَاعَدَتِي . وَهَكَذَا انْطَلَقْنَا جَمِيعًا صَوْبَ قَصْرِ آلِ شُوزَ ، بَعْدَ أَنْ اصْطَحَبْنَا مَعَنَا طُورُنُسَ ،
كَاتِبَ الْمُحَامِي ، لِيَكُونَ شَاهِدًا آخَرَ .

كَانَتْ لَيْلَةٌ دَافِئَةٌ حَالِكَةً السَّوَادِ ، يَهْبُ هَوَاؤُهَا نَسِيمًا يُحَرِّكُ أَوْرَاقَ الشَّجَرِ السَّاقِطَةِ عَلَى
الْأَرْضِ . زَحَفْنَا نَحْوَ الْقَصْرِ الْمُجَلَّلِ بِالسَّوَادِ وَاخْتَبَأْنَا فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ . ثُمَّ مَشَى أَلْنَ
إِلَى الْبَوَابِ الْأَمَامِيَّةِ وَقَرَعَهَا قَرَعًا شَدِيدًا .

رَأَيْتُ بَعْدَ حِينٍ نَافِذَةَ الطَّائِقِ الْأَوَّلِ تُفْتَحُ بِهَدْوٍ . وَرُحْتُ أَتَسَاءَلُ مُبَشِّمًا كَيْفَ
سَيَتَصَرَّفُ أَلْنَ عِنْدَمَا يَرَى بُنْدُوقِيَّةَ عَمِّي مُصَوَّبَةً إِلَى رَأْسِهِ .



جاء صوت عمي الأَجَشُّ البَارِدُ قائلاً : « ما هذا ؟ ما تريد في هذا الوقت من الليل ؟ »
تراجع أَلَنَ خطوةً ونظرَ إلى أعلى ، وسألَ « أهذا أنت ، يا سيد فور ؟ أبعد هذه البُنْدُقيَّةَ
العتيقة عنك ، فقد تنفجر ! »

قالَ عمي بصوتٍ غاضِبٍ : « ما جاء بك إلى هنا ؟ من أنت ؟ »
أجابَ أَلَنَ : « اسمي لا يعنيك . جئتُ في أمرٍ يخصُّكَ أنت . »
سألَ عمي قائلاً : « أيُّ أمرٍ هذا الذي تتحدَّثُ عنه ؟ »
أجابَ أَلَنَ : « روبن . »

سَكَتَ عمي برهةً ، ثُمَّ جاءَ صوتهُ مُرتِعِشاً يقولُ : « لعلَّ من الأفضل أن تدخل . »
وبدا أَلَنَ كأنه استاء من تصرفِ عمي غيرِ اللائِقِ استياءً بالغاً ، فقالَ إنه لن يترَحَّرحَ
عَنِ البابِ .

اِخْتَفَى عمي مِنْ نافِذَةِ الطَّابِقِ الأوَّلِ لِيُظْهَرَ بَعْدَ قَلِيلٍ عِنْدَ البابِ . ثُمَّ جَلَسَ عَلَى
دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ السُّلَمِ ، والبُنْدُقيَّةُ لَا تَرَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ المُرْتَجِفَتَيْنِ .
قالَ : « والآن ، هاتِ ما عِنْدَكَ . »

شَرَعَ أَلَنَ يَرُوي ما عِنْدَهُ ، فقالَ : « مُنْذُ زَمَنٍ غَيْرِ بَعِيدٍ ، غَرِقَتْ سَفِينَةٌ قَرِيباً مِنْ
جَزِيرَةٍ مِثْلِ حَيْثُ أَعِيشُ . وَفِي اليَوْمِ التَّالِي وَجَدَ قَرِيبٌ لِي وَلِداً عَلَى الشَّاطِئِ ، كَانَ بَيْنَ
المَوْتِ وَالْحَيَاةِ . وَقَدْ رَأَى قَرِيبِي وَأَصْدِقَاءَهُ أَنَّهُ ذَاكَ الولدَ نَفَورُ الطَّبْعِ طَائِشٌ لَا يَكْتَرِثُ
بِالقَانُونِ فَنَقَلُوهُ إِلَى قَلْعَةٍ قَدِيمَةٍ . ثُمَّ اكْتَشَفُوا أَنَّهُ ابْنُ أَخِيكَ ، فَاحْتَجَزُوهُ رَهِينَةً لِيُطْلَبُوا مِنْكَ
فِدْيَةً . إِذَا أَنْتَ لَمْ تَدْفَعْ فَلَنْ تَرَى ابْنَ أَخِيكَ أَبَداً . »

جاءَ صوتُ عمي بَطِيئاً مُتَأَنِّباً يقولُ : « الأمرُ لا يعنيني . لَمْ يَكُنْ وَلِداً صَالِحاً . »
قالَ أَلَنَ : « لَا شَكَّ أَنَّكَ تَظَاهَرُ بِعَدَمِ الإِكْتِرَاثِ . فَهَيْمْتُ ، أَنْتَ تُحَاوِلُ أَنْ تُقَلِّلَ
مِنْ المَبْلَغِ . »

أَسْرَعَ إِبْنِزَر يَقُولُ : « لَا ، الْوَلَدُ لَا يَهْمُنِي . لَنْ أَدْفَعَ شَيْئًا . افْعَلُوا بِهِ مَا تَشَاؤُونَ . »
أَجَابَ أَلَن : « أَهْلُ هَذِهِ الدِّيَارِ لَنْ يُعْجِبَهُمْ تَصَرُّفُكَ عِنْدَمَا يَعُودُ رُوَيْنَ وَيُحَدِّثُهُمْ عَنْ
جَشَعِكَ . »

أَسْرَعَ عَمِّي يَقُولُ بِحِدَّةٍ : « كَيْفَ ؟ »

تَابَعَ أَلَن يَقُولُ : « سَيَحْتَجِرُ أَصْدِقَائِي الْفَتَى مَا دَامُوا يَطْمَعُونَ بِالْمَالِ . فَإِذَا عَرَفُوا أَنَّهُمْ
لَنْ يَحْصُلُوا مِنْكَ عَلَى شَيْءٍ فَسَيُطْلِقُونَ سَرَاحَهُ . »

قَالَ عَمِّي بِصَوْتٍ غَاضِبٍ : « لَا يُعْجِبُنِي ذَلِكَ . »

عَرَفَ أَلَن أَنَّ عَمِّي وَقَعَ فِي الْفَخِّ ، فَقَالَ بِصَوْتٍ مَا كَرِهَ : « أَنْتَ لَا تُرِيدُ الْفَتَى . وَمَا
حَاجَتُنَا نَحْنُ إِلَيْهِ ؟ هَيَّا الْآنَ ، كَمْ تَدْفَعُ ؟ »

سَكَتَ عَمِّي بُرْهَةً ثُمَّ قَالَ : « كَمْ تُرِيدُونَ ؟ »

قَالَ أَلَن : « إِنْ احْتِجَازَهُ أَكْثَرُ كُلْفَةٍ مِنْ قَتْلِهِ . »

زَعَقَ عَمِّي : « أَكْثَرُ كُلْفَةٍ ؟ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، لَا بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ . سَأَدْفَعُ . فَهُوَ ،
مَهْمَا يَكُنِ الْأَمْرُ ، ابْنُ أَخِي . »

قَالَ أَلَن : « وَالْآنَ ، لِيَتَحَدَّثَ عَنِ الْمُبْلَغِ . كَمْ دَفَعْتَ لِلْقُبْطَانِ هُوزِنَ لِقَاءِ اخْتِطَافِ
رُوَيْنَ ؟ »

انْتَفَضَ عَمِّي وَصَاحَ : « هَذِهِ كَذِبَةٌ ، كَذِبَةٌ خَسِيسَةٌ ! »

قَالَ أَلَن بِلَهْجَةِ الْمُدَافِعِ عَنْ نَفْسِهِ قَائِلًا : « وَمَا ذَنْبِي إِذَا كَانَ صَدِيقُكَ هُوزِنَ لَا
يَحْفَظُ سِرًّا . »

سَأَلَ عَمِّي فِي حَيْرَةٍ : « هَلْ أَخْبَرَكَ هُوزِنَ ؟ »

قَالَ أَلَن : « أَنَا وَهُوزِنَ نَعْمَلُ مَعًا . كُنْتُ أَحْمَقَ حِينَ كَلَّفْتَهُ بِالْمُهْمَةِ . وَالْآنَ قُلْ لِي كَمْ
دَفَعْتَ لَهُ ؟ »

أَجَابَ عَمِّي : « الْحَقِيقَةُ - دَفَعْتُ لَهُ عِشْرِينَ جَنِيهَا . »

عِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ الْمُحَامِي مِنْ مَخْبِئِهِ ، وَقَالَ : « شُكْرًا ، يَا سَيِّدُ طُورُنُس . فِي هَذَا مَا يَكْفِي . مَسَاءَ الْخَيْرِ ، يَا سَيِّدُ فُور . »

خَرَجْتُ أَنَا أَيْضًا وَقُلْتُ : « مَسَاءَ الْخَيْرِ ، يَا عَمِّي إِبْنِزَر . »

وَقَالَ طُورُنُس : « إِنَّهَا لَيْلَةٌ بَدِيعَةٌ ، يَا سَيِّدُ فُور . »



أَمْسَكَ السَّيِّدُ رَنْكِيلَ عَمِّي مِنْ ذِرَاعِهِ وَدَخَلَ بِهِ الْمَنْزِلَ ، وَدَخَلْنَا نَحْنُ وَرَاءَهُ . لَمْ يَقُلْ
عَمِّي شَيْئًا فَقَدْ صَعَقَهُ مَا حَدَّثَ . أَمَّا نَحْنُ فَكُنَّا سَعْدَاءَ بِنَجَاحِ حِيلَتِنَا ، وَلَكِنَّا أَشْفَقْنَا عَلَى
الرَّجُلِ الَّذِي أَوْصَلَ نَفْسَهُ إِلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمُخْزِيَةِ .

ثُمَّ أَكَّدْنَا لَهُ بَعْدَ حِينٍ أَنَّ حَالَهُ لَنْ تَكُونَ سَيِّئَةً إِنْ هُوَ فَعَلَ مَا نَطْلُبُ مِنْهُ . وَقَدْ تَرَكْنَا
عَمِّي وَالْمُحَامِي بَعْدَ ذَلِكَ لِمُنَاقَشَةِ التَّفَاصِيلِ ، أَمَّا أَنَا وَالنَّ فَقَدْ جَلَسْنَا أَمَامَ نَارٍ مُتَّقِدَةٍ نَضَعُ
خُطَّةً نُسِرُّ فِرَارَ الْآنَ إِلَى فَرَنْسَا . لَمْ يَعْذِرِ الْأَمْرُ صَعْبًا بَعْدَ تَوَافُرِ الْمَالِ .

تَنَازَلَ عَمِّي لِي عَنِ الْقَصْرِ وَالْأَرْضِ وَالْجَانِبِ الْأَكْبَرِ مِنَ الْمَدْخُولِ . وَبَدَأَ بَائِسًا يَائِسًا
لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ . أَخِيرًا اسْتَعَدْتُ حَقِّي فِي الْمِيرَاثِ ، وَابْتَهَجْتُ أَنَا وَأَصْدِقَائِي لِمَا انْتَهَتْ
إِلَيْهِ مُغَامِرَاتُنَا أَعْظَمَ ابْتِهَاجٍ .

عِنْدَمَا أَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ كُنْتُ رَجُلًا ثَرِيًّا . نَامَ الْآنَ وَالسَّيِّدُ رَنْكِيلُ
وَطُورَنْسُ فِي أَسْرَرَتِهِمْ نَوْمًا عَمِيقًا . أَمَّا أَنَا فَقَدْ جَفَانِي النَّوْمُ وَظَلَلْتُ طَوَالَ اللَّيْلِ سَاهِرًا
أَحَدِّقُ فِي النَّارِ الْمُتَكَاسِلَةِ وَأُفَكِّرُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .



روبرت لويس ستيفنسون



كَانَ رُوبِرت لُويْس سْتِيفْنِسُون رَحَالَةً مُغَامِرًا
وَإِنْسَانًا رُومَنْسِيًّا ، وَاشْتَهَرَ - حَتَّى خِلَالَ حَيَاتِهِ
الْقَصِيرَةِ - كَرِوَائِيٍّ نَاجِحٍ وَشَاعِرٍ وَكَاتِبٍ
مَقَالَاتٍ مُتَمَيِّزٍ الْأُسْلُوبِ . وَقَدْ حَفَلَتْ حَيَاتُهُ
بِالْإِثَارَةِ كَمَا حَفَلَتْ رِوَايَاتُهُ الشَّهِيرَةُ
بِالْمُغَامَرَاتِ .

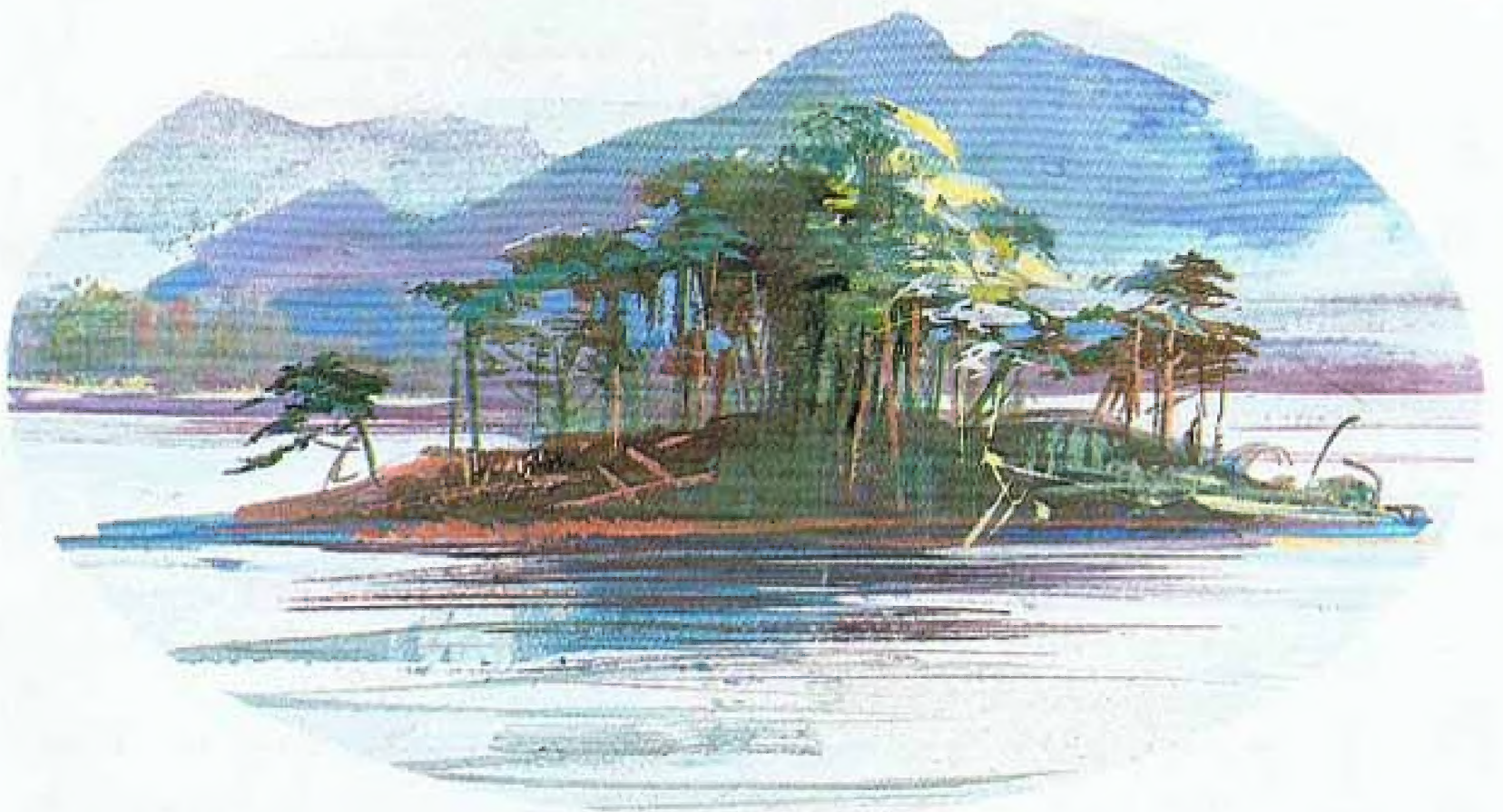
وُلِدَ سْتِيفْنِسُون عَامَ ١٨٥٠ فِي إِدنْبِرِهِ ،
إِسْكُوتْلَنْدَا ، وَكَانَ وَحِيدًا لِوَالِدَيْنِ مَيَّسُورَيْنِ . عَاشَ طُفُولَةً هَادِئَةً مُنْطَوِيَةً ، وَعَانَى مِنْ
اضْطِرَابَاتٍ صِحِّيَّةٍ . كَانَ وَالِدَاهُ يَرْغَبَانِ أَنْ يُتَابَعَ عَمَلُ وَالِدِهِ كَمُهَنْدِسٍ لِلْمَنَارَاتِ فَالْتَحَقَ
بِجَامِعَةِ إِدنْبِرِهِ لِدِرَاسَةِ الْهَنْدَسَةِ . وَسَرَّعَانَ مَا اكْتَشَفَ مَوْهَبَتَهُ فِي الْكِتَابَةِ وَتَحَوَّلَ إِلَى دِرَاسَةِ
الْقَانُونِ وَنَالَ شَهَادَةً فِيهِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُزَاوِلْ مِهْنَةَ الْمُحَامَاةِ إِذْ أَخَذَ يُشْغِلُ بِرِحَالَتِهِ .

رَحَلَ سْتِيفْنِسُون إِلَى فَرَنْسَا لِأَسْبَابٍ صِحِّيَّةٍ وَوَصَفَ مُغَامَرَاتِهِ فِي كِتَابِهِ «رِحَالَاتٌ عَلَى
ظَهْرِ حِمَارٍ» (١٨٧٩) الَّذِي لَاقَى نَجَاحًا مَقْبُولًا . اِلْتَقَى - فِي فَرَنْسَا - بِالْأَمِيرِكِيِّ فَاثِي
أُوسْبُورْنِ ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مُطَلَّقَةٌ وَلَهَا طِفْلَانِ ، فَأَحَبَّهَا بَعْمَقٍ ، حَتَّى إِنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يُلْحَقَ بِهَا إِلَى
أَمِيرِكَا ، فَسَافَرَ بِالْبَاخِرَةِ ثُمَّ بِالْقِطَارِ فِي ظُرُوفٍ مُرْهِقَةٍ كَادَتْ تُودِي بِحَيَاتِهِ . وَلَكِنَّهُ اسْتَرَدَّ
عَافِيَتَهُ ، وَتَزَوَّجَ مِنْهَا سَنَةَ ١٨٨٠ .

عَامَ ١٨٨١ عَادَا إِلَى أُوْرُوبَا لِيَعِيشَا فِي إِسْكُوتْلَنْدَا ، حَيْثُ بَدَأَ رِوَايَتُهُ «جَزِيرَةُ الْكَتْرِ»
(١٨٨٣) ، ثُمَّ انْتَقَلَا إِلَى سُوَيْسِرَا ، ثُمَّ إِلَى إِنْكَلِتْرَا . وَفِي بُورْنِمَاوْثِ كَتَبَ سْتِيفْنِسُون رِوَايَتَهُ
«دَكْتُورُ جِيكَلْ وَمِسْتَرُ هَايْد» (١٨٨٦) الَّتِي لَاقَتْ نَجَاحًا هَائِلًا ، أَعْقَبَهُ نَجَاحُ رِوَايَةِ
«الْمَخْطُوف» (١٨٨٦) .

إِعْتَلَّتْ صِحَّةُ سْتِيفَنسُون ثَانِيَةً ، فَقَرَّرَتِ الْعَائِلَةُ الْعُودَةَ إِلَى أَمِيرِكَا عَامَ ١٨٨٧ ؛ وَقَدْ أَمْضَى هُنَاكَ عَامًا أَنْكَبَ خِلَالَهُ عَلَى التَّأْلِيفِ . أَبْحَرَ هُوَ وَأَفْرَادُ عَائِلَتِهِ ، عَامَ ١٨٨٨ ، فِي يَحْتِهِمِ الْخَاصِّ ، إِلَى جُزُرِ جَنُوبِ الْمُحِيطِ الْهَادِي ، وَهَذِهِ الرَّحْلَةُ كَانَتْ تُرَاوِدُ أَحْلَامَ سْتِيفَنسُون وَلَطَالَمَا ظَهَرَ شَغْفُهُ بِمِثْلِهَا فِي كِتَابَاتِهِ . وَقَدْ ابْتَهَجَ سْتِيفَنسُون بِهَذِهِ الرَّحْلَةِ إِذْ لَاءَمَ الطَّقْسُ صِحَّتَهُ وَحَرَّكَ الْبَحْرُ مَشَاعِرَهُ وَأَثَارَتُهُ طَبِيعَةَ الْجُزُرِ وَسُكَّانِهَا . وَلَمَّا وَصَلُوا ، فِي سَنَةِ ١٨٨٩ ، إِلَى جَزِيرَةِ أُوْبُولُو ، وَهِيَ إِحْدَى جُزُرِ السَّامُوَا ، قَرَّرُوا الْاسْتِقْرَارَ هُنَاكَ ، فَبَنَوْا مَتْرَلًا فَخْمًا عَاشُوا فِيهِ سَعْدَاءً وَانْدَمَجُوا فِي الْمُجْتَمَعِ الْمَحَلِّيِّ .

كَتَبَ سْتِيفَنسُون « كَاتْرِيونَا » وَبَدَأَ كِتَابًا آخَرَ ، وَلَكِنْ ، بِالرَّغْمِ مِنَ الْمُنَاسِبِ وَآثَرِ تِلْكَ السَّنَوَاتِ السَّعِيدَةِ ، فَإِنَّ حَالَتَهُ الصَّحِيَّةَ قَدْ سَاءَتْ . وَفِي الثَّلَاثِ مِنْ كَانُونِ الْأَوَّلِ (دِيسْمَبَر) عَامَ ١٨٩٤ تُوُفِّيَ سْتِيفَنسُون وَدُفِنَ عَلَى رَأْسِ تَلَّةٍ تُشْرِفُ عَلَى مَتْرَلِهِ وَعَلَى الْبَحْرِ .



كتب الفراشة - القصص العالمية

- | | |
|-----------------------------|--------------------|
| ١ - الدكتور جيكل ومستر هايد | ٧ - شبح باشكرفيل |
| ٢ - أوليفر تويست | ٨ - قصة مدينتين |
| ٣ - نداء البراري | ٩ - مونفليت |
| ٤ - موبى دك | ١٠ - الشباب |
| ٥ - البحار | ١١ - عودة المواطن |
| ٦ - المخطوف | ١٢ - الفندق الكبير |



كتب الفراشة

القِصص العالَمِيَّة ٦. المَحْطُوف

إِخْتَارَتْ مَكْتَبَةُ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ أَرْوَعَ الْقِصَصِ الْعَالَمِيَّةِ ، وَنَقَلَتْهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مُبَسَّطَةً ، مُرَاعِيَةً الْأَمَانَةَ فِي النُّقْلِ وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى جَزَالَةِ الْأُسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ وَبِلَاغَتِهِ ، مَعَ تَشْكِيلٍ كَامِلٍ وَضَبْطٍ دَقِيقٍ . وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى هَذِهِ السُّلْسَلَةِ خُبْرَاءُ دَائِرَتِي النِّشْرِ وَالْمَعَاجِمِ فِي مَكْتَبَةِ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ حَتَّى تُوفِّرَ لِلْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ إِنتَاجًا فِكْرِيًّا مُتَفَوِّقًا مَظْهَرًا وَمَضْمُونًا .



مَكْتَبَةُ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ



01C196806